Arabic Language & Literature
Vol. 17, No. 3, Autumn 2021
Manuscript Type: Research Article

https:// journals.ut.ac.ir/
Print ISSN: 1735-9767
Online ISSN: 2423-6187
DOI: 10.22059/jal-lq.2021.318084.1121

Lexical cohsion in the one hundred and twelve sermon of Nahj al-Balaghah (According to Halliday's theory)

Mahdi Abedi Jazeeny[1*], Roya Kamali[2]

1. Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature, University of Isfahan, Isfahan, Iran
2. PhD Student, Department of Arabic Language and Literature, University of Isfahan, Isfahan, Iran

(Received: January,30, 2021; Accepted: August,07, 2021)

Abstract

Lexical cohesion, like the most prominent modern linguistic currents, deals with the text by highlighting the interconnectedness of the lexical elements and the role of these interconnected elements in the movement of the text and its development towards the desired goals. This trend helps us delve into the depths of the text and reveal how the lexical elements are organized to produce the text. Because these elements incubate ideas and meanings as they relate to the context. Nahj al-Balaghah, as a ray of the light of the Qur'an, occupied the summit of eloquence with its literary and intellectual richness. It is considered the best field for textual analysis that deserves to be examined. This noble book includes a chapter of the valuable sermons of Imam Ali, peace be upon him, that he gave in various contents following the diversity of discursive purposes. Thus, we chose the 112th sermon of this chapter, which is an ethical sermon charged with interrelated lexical indications, and we analyzed the functions of these indicators in achieving the coherence of the text as a coherent whole by shedding light on the mechanism of repetition (with its complete and partial types, synonymy and repetition of compositional formulas) and the lexical accompaniment (the phenomenon of the approach) based on Analytical. It emerged through our study that the sermon 112 of Nahj al-Balaghah was built on a tightly woven fabric with interrelated lexical relationships according to the context, and that the use of repetition and solidarity of all kinds as mechanisms that prevail over the text plays an effective role in the cohesion of textual units by creating an emphasis on the rotation of the text around it. It also contributes to the production of persuasive discourse through association, assertion, and an analogy between contradictions.

Keywords

Textual cohesion, Nahj al-Balaghah, lexical cohesion, sermon 112, Michael Halliday.

---

* **Corresponding Author, Email:** mehdiabedi1359@yahoo.com

مجلة اللغة العربية وآدابها
السنة ۱۷ ، العدد ۳ ، الخريف ۲۰۲۱م
صفحة ۴۵۱ - ۴۱۷ (مقالة محكمة)

Print ISSN: 1735-9767
Online ISSN: 2423-6187
https://jal-lq.ut.ac.ir/

التّماسك المعجمي في الخطبة المائة واثنتي عشرة (۱۱۲)من نهج البلاغة (وفقاً لنظرية هاليدي)

مهدي عابدي جزيني[۱*]، رؤيا كمالي[۲]

۱. استاذ مساعد ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة اصفهان ، اصفهان ، ايران
۲. طالبة في مرحلة الدكتوراه ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة اصفهان ، اصفهان ، ايران

(تأريخ الاستلام: ۲۰۲۱/۰۱/۳۰. تأريخ القبول: ۲۰۲۱/۰۸/۰۷)

الملخّص

إنّ التماسك المعجمي بوصفه أبرز التيّارات اللّسانية الحديثة ، يعدّ من أهمّ أعمدةِ نظرية التماسك النصّي التي اقترحها مايكل هاليدي ورقية حسن سنة ۱۹۷۶م ، ومن هذا المنطلق ، يهدف هذا البحث الى تسليط الضّوء على ترابط العناصر المعجمية ودورها المتلاحم في حركة النصّ وتنميته تجاه الغايات المنشودة. يساعدنا هذا الاتجاه على الخوض في أعماق النصّ والكشف عن كيفيّة انتظام العناصر المعجمية لإنتاج النصّ؛ لأنّ هذه العناصر حاضنة الأفكار والمعاني بتعالقها مع السّياق. لقد احتلّ نهج البلاغة ،بصفته شعاعا من نور القرآن ، قمّة الفصاحة بثرائه الأدبي والفكري ، حيث يُعدّ خير مجالٍ للتحليل النصّي الذي يستحقّ الوقوف عنده. يتضمّن هذا الكتاب الشريف باباً من الخطب القيّمة التي ألقاها الإمام علي -عليه السّلام- في المضامين المختلفة متابعاً لتنوع الغايات الخطابيّة. وقد اخترتُ الخطبة ۱۱۲ من هذا الباب وهي خطبة أخلاقية مشحونة بالمؤشّرات المعجمية المترابطة ،كما قمتُ بتحليل وظائف هذه المؤشرات في تحقيق تماسك النصّ ككلّ منسجم بإلقاء الضّوء على آليتي التكرار(بأنواعها التامّ والجزئي والترادف والتوازي) والتضامّ(ظاهرة الطباق) وفق نظرية التماسك النصّي لهاليدي وحسن ، معتمدةً على المنهج الوصفي-التحليلي.وقد اتضح من خلال هذه الدراسة أنّ الخطبة ۱۱۲ من نهج البلاغة بنيت على نسيجٍ محكم السّبك من العلاقات المعجمية الوثيقة بين أجزاء وحداتها النصية. لقد أدّت ظاهرة التكرار وظيفتها الربطية بدرجاتها الأربعة خلال تبئير الوحدات النصّية ، كما أنّ ظاهرة التضامّ أدّت دورها الوظيفي باستدعاء العناصر المتجاورة في المقاطع النصّية الواحدة خلال تقنية الطباق بوصفها الأسلوب الغالب على نصّ الخطبة. هكذا تقوم هاتان الآليتان باستمرار المعاني طوال النصّ وتوجيهها تجاه الدلالة الكبرى أي «ذمّ الدنيا والتحذير منها»؛ كما أنّهما تؤدّيان إلى إنتاج هذا الخطاب الإقناعي والتوجيهي خلال دورهما التأكيدي.

الكلمات الرئيسة

التماسك النصّي ، نهج البلاغة ، التماسك المعجمي ، الخطبة ۱۱۲ ، مايكل هاليدي.

---

* الكاتب المسؤول
Email: mehdiabedi1359@yahoo.com

المقدّمة

لقد احتلّت الدّراسات النصّية معظم مساحة البحوث اللّسانية الحديثة بتجاوزها مستوى الجملة إلى آفاق النصّ الرّحيبة وباهتمامها بالنصّ كالوحدة الأساسية للتحليل اللّغوي غير قابلة للتجزئة والنّسيج المنسجم من جمل متوالية منتظمة «يحكمها نحو النصّ والسّببية (التعالق والانسجام) والبنيات الدّلالية الكبرى والعليا» (مداس،٢٠٠٩م:١٤)؛ هكذا فإنّ الترابط والانسجام حسب رؤية علم اللّغة النصّي خاصيةٌ جوهريةٌ للنصّ تقوّم هويّته ، كما أنّ علماء النصّ يعدّون السّبك والالتحام من أهمّ المعايير النصّية. والتماسك النصّي كاتجاه هامّ من علم اللّغة النصّي ينحو إلى دراسة الترابط بين الجمل والعناصر المؤلّفة للنصّ وكيفية اتّصال هذه العناصر بالمضمون بتسليط الضّوء على دورها الوظيفي في إنتاج النصّ. إنّ مايكل هاليدي ورقيّة حسن ، كرائدي هذا الاتجاه يعرّفان التماسك النصّي بـ«العلاقات أو الأدوات الشّكلية والدّلالية التي تسهم في الربط بين عناصر النصّ الدّاخلية وبين النصّ والبيئة المحيطة من ناحية أخرى» (الفقي ، ٢٠٠٠م: ج١/٩٦)؛ انطلاقاً من هذا ، فإنّ النصّ ثمرة الترابط اللّفظي والدّلالي معاً والاتّساق نتيجة حتمية لوضوح المعنى وهو متعلّق بالهدف الكامن وراء النصّ. يستلزم وصف النصّ بالتماسك في الخطوات الأولى للبحث عن عناصر الرّبط في البنية السّطحية التي يمكن رصدها خلال مستويين: تركيبي ومعجمي وكلاهما يساهمان في انتظام المعاني واستمراريّة الدّلالة طوال النصّ رغم نضج سلسلة الكلام. إنّ السّبك المعجمي يقوم على «الرّبط الذي يتحقّق من خلال اختيار المفردات عن طريق إحالة عنصر إلى عنصر آخر» (شبل محمد ، ٢٠٠٩م: ١٠٥)؛ وبما أنّ الخطاب يبنى على أعمدة الألفاظ وينتج بها ، فإنّ انتقاء الألفاظ من ساحة المعاجم وفق السّياق وتنظيمها متماسكة وملائمةً مع المضمون يؤثّر في كيفيّة إنتاج الخطاب وتأثيره في المتلقّي ، كما ينشد الرونق والنشاط في النصّ بإزالة الرّتابة من خلال الإحالات المعجمية والتلاعب بالألفاظ.

كما نعرف إنّ كلام الإمام علي -عليه السّلام- إمام الفصحاء ، يُعدّ من أسمى النّصوص فكراً وعمقاً وأدباً وهو في ذروةِ الفصاحة ، ولم يبلغ كلام أي أديب مستواه ، كما هو كلام جامع يحتوي على الشّريعة كلّها؛ حيث يعتبر «فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق» (ابن أبي الحديد ، ١٩٦٠م: ج ٨/١)؛ ونهج البلاغة كخزانة كلام الإمام -عليه السّلام -مصبوغ بلون الخلود طوال العصور؛ إذ اختار الشّريف الرّضي من كلامه الشريف ما له ثروة بلاغية وفنّية وفكرية. من أهمّ فنون الإمام علي -عليه السّلام- الذي انفتح له بابٌ من أبواب نهج البلاغة ، فنّ الخطابة وهو من أرقى الفنون الخطابية في التأثير والإقناع الذي ازدهر في

صدر الإسلام. تعدّ الخطابة نوعاً من التواصل الاجتماعي الذي يبني على رُكنين: "الخطيب أو المُرسِل" و"المستمع أو المُرسَل إليه" بغية توصيل المعنى وإقناع المخاطب؛ هكذا فإنّ الخطيب «يعتمد على المفهومات المشتركة التي تربطه المتلقّي فيقع الفهم؛ فمدار الخطابة هو الفهم والإفهام» (خضير ، ٢٠١٧م: ٤٢). انسياقاً من هذا الأمر؛ إنّ الإمام عليه السّلام كخطيب حاذق يهتمّ بأحوال المخاطب ومقتضيات الخطاب ، يعمد إلى اختيار استراتيجيات خطابية متنوّعة تبعاً لتنوّع المقتضيات؛ فإنّ خطبه «علامةٌ فنيةٌ فارقةٌ في تاريخ النّثر العربي فبرع (عليه السّلام) في كلّ شيء من نواحي الخطابة الفنّية من الإيجاز والإطناب في مواقعه» (المصدر نفسه: ٤٣). نظراً لهذه الخصائص ، فإنّنا قد اخترنا "الخطبة ١١٢" من خطب نهج البلاغة كأنموذج تطبيقي وهي نصّ أخلاقي توفّرت فيه عناصر التّماسك المعجمي حسب فحواها وامتازت بتوظيف هذه العناصر تجاه الغايات التوجيهية والإقناعية فضلاً عن تحلّيها بزينة الفصاحة والبراعة الفنّية وجزالة الأسلوب.

أهميّة البحث

يستمدّ البحث قيمته من أهميّة الاتّساق المعجمي في تحليل تماسك النصّ ودوره النشيط في تبيين السّياق؛ لأنّ الألفاظ المعجمية شديدة الاتّصال بسياقاتها حسب طبيعتها. فإنّ الاتساق المعجمي يؤدّي إلى الفهم الكامل للنصّ ، كما أنّ آليّاته تؤثّر في إنتاج الخطاب بأداء مهمّتها في تحقيق الاستراتيجيات المطلوبة؛ بعبارة أدقّ للتعبير ، إنّ إنتاج النصّ في الأساس منوط بترابط الألفاظ وتوظيفها نحو الغاية الخطابية. هذا من جهة ومن جهة أخرى ، إنّ الخطبة ١١٢ من نهج البلاغة تعدّ مجالاً خصباً لتطبيق هذا الاتّجاه حيث كيانها مشحون بالإحالات المعجمية والعناصر الإقناعية التي يمكن من خلالها التعرّف على البنية الكبرى والأهداف الأخلاقية التي تحيط بها.

أهداف البحث

انطلاقاً من هذه الأهميّة ، يسعى هذا البحث الى دراسة وظائف آليّات الاتّساق المعجمي (التكرار والتضام بأنواعهما) في تحقيق تماسك الخطبة ١١٢ من نهج البلاغة حسب رأي هاليدي؛ كما أنه يهدف إلى تحليل كيفيّة تحقيق نصّية الخطاب ونشر معانيه خلال توظيف هذه الآليات بتقديم شواهد مختارة منها ، معتمداً على المنهج الوصفي- التحليلي. يبدأ البحث بتعريف ظاهرة التماسك بأنواعها على وجه العامّ والتماسك المعجمي وآليّاتها برؤية

أخصّ، ثمّ يعمد إلى الكشف عن تجليّات هذه الآليّات وفاعليّتها في توجيه هذه الخطبة مستخدماً معطيات علم اللّغة وتحليل الخطاب.

أسئلة البحث

تجاه بلوغ الغايات المذكورة، يتّجه البحث شطر الإجابة عن الأسئلة التالية:

١. ما هي أبرز آليات التماسك المعجمي في الخطبة ١١٢ من نهج البلاغة وفق رأي هاليدي؟
٢. كيف تؤثّر عناصر التماسك المعجمي في توجيه الخطاب وإنجازه؟

خلفيّة البحث

بما أنّ نهج البلاغة مَشرع الفصاحة ونموذج البلاغة، فمن المتوقّع أن تخضع له المعالجات العلميّة المتعدّدة في الحقول المختلفة لاسيّما في مجال التماسك النصّي حيث تمثّل هذه المحاولات اللّسانية نبراساً نستضيء به في دراستنا؛ من أهمّها:

- أفضلي، علي؛ موسوي بناه، سيّد أحمد. (١٤٤٢هـ)مقالة "آليات الترابط النصّي في خطبة الجهاد للإمام علي بن أبي طالب (ع) دراسة تحليلية في ضوء لسانيات النصّ". مجلة آفاق الحضارة الإسلامية. السنة ٢٣. العدد١. صص ١-٣٠: يحاول هذا البحث كشف عناصر الاتّساق (النحوي، المعجمي والصّوتي) والانسجام في خطبة الجهاد وتحليل دورها في تماسك نصّها فيبرز براعة صاحب الخطبة في إلقاء خطبة متماسكة وفي خلق الجمال الذي يناسب الغرض الذي سيقت الخطبة من أجله. لقد ركّز الباحثان على ظاهرة الاتّساق المعجمي في أثناء هذا البحث، بنوعيه "التكرار" و"التضام"؛ فقد تطرّقا-في قسم التضامّ- إلى تحليل دور تقنية التضاد بوصفها العلاقة الأهمّ بين المتصاحبات في تماسك الخطبة؛ و قد اكتفيا- في قسم التكرار-بذكر بعض نماذج من أنواعه (المحض، الجزئي والترادف) موجزاًمعتمداً على تبيين الأثر الانفعالي لهذه النماذج في ضمير المخاطب وانعكاس الموقف النفسي للإمام كمرسل النصّ.
- محمدي، سكينة؛ خزعلي، إنسية. مقالة "الاتّساق المعجمي في رسائل نهج البلاغة (رسالة الإمام علي(ع) لمالك الأشتر النخعي نموذجاً. (١٤٤١هـ). مجلة اللغة العربية وآدابها. السنة ١٥. العدد4. صص ٦١٣-٦٣٢: تعتقد الباحثة في هذا البحث بأنّ التعرّف على التماسك النصّي في هذه الرّسالة الحكومية والبحث عن المحاوراللّغوية الأصلية منها والفرعيّة خلال تحليل ظاهرة التكرار والتضادّ كأهمّ أبعاد التضامّ في التحليل المعجمي،

يبيّن التركيز الأساس في تنظيم أمور البلاد وإمعان النظر في الأولويّات الإجرائية كدُستور حكومي.

- زارع ، آفرين؛ سلطان آبادي ، نجمة.(١٤٣٦هـ). مقالة " التكرار من منظار علم لغة النصّ ودوره في تماسك النصّ على نظرية هاليدي وحسن(الخطبة القاصعة من نهج البلاغة أنموذجاً)". مجلة اللغة العربية وآدابها. السنة ١١. العدد١. صص ١٢٥-١٣٦: تنتهي الكاتبة إلى أنّ التّكرار من منظار نحو النصّ يحظى بعناية كبيرة في الخطبةالقاصعة؛ وذلك بسبب خاصيّة التكرار للتوازن بين المعلومات الجديدة والقديمة في النصّ وبالتالي تسهيلاً لفهم القضية للمتلقّي والكلمات الأكثر تكراراً في الكلمات العامّة فيما ترتبط بالإنسان ، وبعد ذلك ما ترتبط بالزّمان والاسم الدالّ على حقيقة.
- الوداعي ، عيسي جواد محمد فضل. (٢٠١٥م)."التماسك النصّي ، دراسة تطبيقية في نهج البلاغة". قدّمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلّبات الحصول على درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها ، إصدار: المركزالعلمي للرسائل والأطاريح: درست هذه الدّراسة شتّى التماسكات النصّية على مستويات عدّة منها التماسك النصّي ، والتماسك المعجمي ، والتماسك النحوي ، والتماسك الدّلالي ، والتماسك التّداولي ، ثمّ طبّقت هذه المستويات على خطب مختارة من نهج البلاغة. إنّ هذه الأطروحة تعدّ نبراساً نستضيء به في خطوات بحثنا. أمّا في الباب المختصّ بالتماسك المعجمي فقد ركّز الباحث على أسلوب التبئير خلال تحليل ظاهرة التكرار بأنواعه المختلفة ، كما ألقى الضوء على دور عامل التضادّ في تماسك النصّ المختار من نهج البلاغة خلال مستوياته الثلاثة. وإنّا لوجدنا هذا الأسلوب المستخدم خير منهجٍ لتحليل التماسك المعجمي في هذا البحث.
- برويني ، خليل؛ نظري ، عليرضا. (١٣٩٣ش). مقالة "بررسى نقش عامل تكرار در انسجام بخشي به خطبههاى نهج البلاغه بر اساس الكوى انسجام هليدي وحسن". مجلة زبان بزوهي دانشكاه الزهرا. السنة ٦. العدد ١٠: لقد رصدت هذه المقالة عنصر التكرار كأهمّ عناصر الاتّساق بجميع أنواعه في خطب نهج البلاغة وعملت على إحصاء هذه الظاهرة وتبيين دورها في تماسك الخطب ، خلال تأدية وظيفتها في اتصال البنى الكبرى وترابط بعضها ببعض في ضوء نظرية هاليدي وحسن.
- ومن الدّراسات الأخرى في ساحة التّماسك النصّي هي:

- الخفاجي، رسول. (٢٠١٤م). مقالة "نحو دراسات لسانية حديثة للخطاب العربي: دراسة التماسك المعجمي نموذجاً. مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية. المجلد ٤١. ملحق٢: يقوم هذا البحث باقتراح أسلوبٍ تحليلي للنّصوص العربية يعتمد على القياس الكمّي لحجم التماسك المعجمي بين متواليات جمل النصّ؛ كما يقوم بتطبيق هذا الأسلوب المقترح على الجمل العشر الأولى من نصّ مقالة "من أجل مغرب عربي موحّد" للتعرّف على حلقات التماسك المعجمي بين جمله المتتالية. إنّ نصّ هذه المقالة المنشورة يتطلب اعتماد الباحث على مخططات من العلاقات، تظهر تماسكه خلال حلقات الجمل الأفقية والرأسية لإبراز ترابطها باللواحق والسوابق من الجمل الباقية، ولتمييز الجمل الأساسية للنصّ.
- زهية، مزياني. (٢٠١٧م). رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستر المعنونة بـ"أدوات التماسك النصّي؛ دراسة تطبيقية في نصّ عربي نموذجاً" إشراف: الدكتور فريحي: تهدف هذه الرّسالة إلى تحليل دور آليات الاتّساق النحوي والمعجمي في النصّ العربي بشكل موجز -خاصّة في ميدان الاتّساق المعجمي- تكتفي الباحثة بذكر أنواع آليّات التكرار والتضامّ.
- عبد القوي، غادة محمد. (د.ت). مقالة "من آليات السبك والحبك في الحكاية الخرافية الفارسية. مجلة رسالة المشرق. العدد ٢٨٩: يكشف هذا البحث عن وسائل التماسك النصّي للحكايات الخرافية الفارسية التي تستمدّ هويّتها من الأدب الشعبي، بغية الوصول إلى القواعد النصيّة التي تحقّق تماسك هذه النصوص، معتمداً على المنهج التصنيفي- التحليلي. لقد قام الباحث بتعريف أنواع آليّات الاتساق(النحوي والمعجمي) والانسجام(العلاقات الدلالية بين البنى الكبرى للنّصوص) بتقديم بعض نماذج من هذه النصوص. وفي باب التماسك المعجمي لقد ألقى الباحث الضوء على ظاهرة التكرار بأنواعها (المحض، الجزئي والترادف) في النصّ الحكائي لتبيين مدى تماسكه وتوضيح فائدة هذه الظاهرة في نقله كالتأكيد وتمديد الحكي، كما تطرّق إلى تحليل دور التضادّ والتلازم الذكري في بناء موضوع الحكايات.

رغم هذه البحوث التي عالجت زوايا هامّة من نهج البلاغة من منظار التماسك المعجمي؛ إنّنا لم نعثر على بحثٍ وافٍ جامع الأبعاد في تحليل مهمّة آليّات الاتساق المعجمي في تحقيق تماسك "الخطبة ١١٢"، وهي خطبة- رغم اختصارها- مشحونة بالتعابير الفنية

والمحسّنات اللفظية ،وفقاً للنطاق الحجاجي المنسجم ، كما هي تعدّ نصّاً ذا قيمة لغوية ومضمونية من مجموعة نهج البلاغة بوصفها فوق كلام المخلوق. ما يميّز بحثنا هذا عن البحوث المذكورة ، التركيز على محورين:

١. تقسيم نصّ الخطبة- بوصفه وحدة شاملة- إلى أربعة وحدات كبرى وفق مضامينها المتّصلة بالمقام ، ثمّ تحليل تماسكها معتمداً على الكشف عن البؤرات(المفتاحية وغير المفتاحية) التي تربط بين الجمل في مستوى الوحدات النصّية الصغرى ، وتشدّ الوحدات الأربعة الكبرى حيث يبرز لنا بوضوح نسيج النصّ المنسجم ويرسم كيفية بثّ الدلالة الجامعة طوال النصّ كما يساعدنا على فهم هذه الحركة الدلالية؛ إذ يقتضي نصّ هذه الخطبة تسليط الضوء على التبئير كالظّاهرة الغالبة عليه حسب طبيعته الحجاجيّة.

٢. توسيع ساحة المصاحبة المعجمية والاهتمام بالعلاقات الأخرى بين المتصاحبات بجانب علاقة التضادّ؛ إذ تعدّ الخطبة مجالاً محشوناً بالعلاقات اللفظية التي تتجذّر في حسن انتقاء الألفاظ.

- أمينة بن عبد الله. (٢٠١٨م). "أثر الربط المعجمي في اتّساق الخطاب القرآني (سورة الشعراء نموذجاً)". رسالة مقدّمة لنيل درجة ماجستير في اللغة والأدب العربي. جامعة وهران: تتناول هذه الرّسالة الجامعية دراسة التماسك ضمن تحديد آليّات الاتّساق النحوي والمعجمي في هذه السّورة على ضوء المنهج الوظيفي.

هكذا فإنّنا قد اخترنا الخطبة ١١٢ من نهج البلاغة للوقوف عليها من منظار التماسك المعجمي كالدراسات المذكورة ، لأهميّتها اللغويّة والمضمونيّة بوصفها فوق كلام المخلوق. يقتضي نصّ الخطبة تسليط الضوء على التبئير كالظّاهرة الغالبة عليه حسب طبيعته الحجاجيّة؛ وقد اعتمدنا في خطواتنا على الأسلوب المقترح في كتاب "التماسك النصّي ، دراسة تطبيقية في نهج البلاغة" لعيسى جواد الوداعي -كما تقدّم- إذ وجدناه خير منهج لتحليل الاتّساق المعجمي في هذه الخطبة وفق الاستراتيجيات الخطابية المستخدمة فيها. ختاماً ،جدير بالذكر أنّنا لم نعثر على بحثٍ وافٍ جامع الأبعاد في تحليل مهمّة آليات الاتساق المعجمي في تحقيق تماسك الخطبة ١١٢.

التماسك المعجمي[1] مفهومه وآليّاته

لقد تطوّرت البحوث اللّسانية بظهور علم اللّغة النصّي[2] وإلقاء الضّوء على البنية النصّية بساحتها الوسيعة كوحدةٍ صالحة للتحليل وهي «بُنية معقّدة ذات أبعاد أفقية وتدرّج هرمي تحتاج ذلك الخليط المتكامل من علم النحو وعلم الدلالة وعلم التداولية» (بحيري، ١٩٩٧م: ١٢٥). إنّ علم اللّغة النصّي يهتمُّ بدراسة النصّ كنسيجٍ منسجمٍ يبنى على شبكة من العناصر المترابطة التي تقوم بوظيفتها في تفاعل تواصلي لإنتاج الخطاب؛ إذن يعدّ الترابط النصّي من أهمّ البحوث في ميدان علم اللغة النصّي. وقد اعتنى علماء النحو والبلاغة بالتماسك بوصفه خاصيّة جوهريّة للنصّ ومعيار فصاحته؛ منهم عبد القاهر الجرجاني الذي تقوم نظريته المسمّاة "بنظرية النظم" على التفاعل الدّاخلي وتعالق الألفاظ؛ حيث قال: «اعلم أنّ لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتّى يعلّق بعضها ببعض ويبنى بعضها على بعض وتجعل هذه سبب من تلك. هذا ما لا يجهله عاقل ولا يخفى على واحد من الناس» (الجرجاني، ٢٠٠٤م: ٥٥). أمّا التماسك النصّي في صعيد اللّسانيات الحديثة، فقد ظهر خلال دراسات مايكل هاليدي ورقيّة حسن في كتابهما الشهير المعنون بـ"السّبك النصّي في اللّغة الإنجليزية"[3] (١٩٧٦م). لقد اعتقد هاليدي وحسن بأنّ النصّ وليد سلسةٍ من العلاقات الواعية المتبادلة بين أجزائه التي تمنحه الهويّة؛ ثمّ أطلقا على هذه المجموعة من التبادلات الخالقة للنصّ اسم التماسك النصّي وعبّرا عنه بلفظ "Cohesion" الدالّ على العلاقات النحوية والمعجمية بين أجزاء النصّ في البنية السّطحية. يبدو هنا أنّ مفهوم التماسك لا يتضمّن العلاقات الدلالية أو التلاحم بين البنى الكبرى للنصّ، ولكنّ هاليدي، كرائد هذا الاتجاه اللّساني، يؤكّد في تعريف الاتّساق على أهميّة الجانب الدلالي للنصّ بقوله: «إنّ مفهوم الاتساق مفهومٌ دلالي؛ إنّه يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النصّ والتي تحدّده كنصٍّ» (هاليدي، ١٩٧٦م: ٤)؛ هكذا فإنّ نظام التماسك النصّي يبنى على عمودي الترابط اللّفظي والدلالي اللّذين يعبّر عنهما بالاتساق[4] والانسجام[5] أو السبك والحبك (الخطابي، ١٩٩١م: ٥).

إنّ الاتساق مجموعة من الوسائل اللّغوية أو العناصر المتعلقة بالبنية السّطحية للنصّ التي تتحقّق بها استمرارية الدّلالة وتمنح النصّ صفة النصّية؛ فإنّ السّبك «ذو قيمة خطّية أفقية

1. Lexical cohesion
2. Textual linguistics
3. Cohesion in English
4. Cohesion
5. Coherence

تظهر على مستوى تتابع الكلمات والجمل ، بينما أنّ الحبك ذو طبيعة دلالية تجريديّة تظهر من خلال علاقات وتصوّرات تعكسها الكلمات والجمل» (بحيري ، ١٩٩٧م: ١٢٢)؛ فإذا خلا النصّ من هذه العناصر يصبح جملاً متراصّة. يتبنّى الاتّساق حسب رأي هاليدي على ركني "الاتّساق النحوي" و"الاتّساق المعجمي" حيث يقوم الأوّل على الترابط النحوي والتركيبي بين أجزاء النص في مساره الأفقي أي المستوى السطحي كالرّبط الإحالي ، الاستبدال ، الحذف والعطف؛ وأمّا الثاني أي التماسك المعجمي يقوم على عماد المعجم ويتحقّق خلال شبكةٍ من العلاقات بين الوحدات المعجمية التي تبرز نظام النصّ كواحدٍ متكاملٍ متصلٍ بالسّياق معتمدةً على عملية التداعي. يتميّز الاتّساق المعجمي عن الاتّساق النحوي باقتضائه الحركة والتبادل في طلب نسقٍ مفتوح؛ لأنّ «النحو يتعامل مع العلائق المحدودة والمعجم يتعامل مع العلائق المفتوحة» (مفتاح ، ١٩٩٦م: ٤١)؛ هكذا فإنّ الاتساق المعجمي يؤدّي إلى التوسّع في المعاني وتفسير النصّ لصلته الوثيقة بالسّياق والدلالة؛ إذ إنّ «علاقة معنوية بين عنصر في النصّ وعنصر آخر يكون ضرورياً لتفسير النصّ» (هاليدي ، ١٩٧٦م: ٨). يتحقّق هذا المستوى من التماسك النصّي خلال عنصرين"التكرار"[1] و"التضام"[2] وفق نظرية هاليدي(أنظر إلى المصدر نفسه: ٣١٨).

تجليّات التماسك المعجمي في الخطبة ١١٢

لقد اختار الإمام علي -عليه السّلام- في هذه الخطبة "التحذير من الدّنيا"محوراً أساسياً يدور حوله النصّ وجعله غايةً أصلية تنتظم المقاطع النصّية نحو تحقيقه. يتكوّن هذا النصّ من أربع وحدات نصّية كبرى؛ الوحدة الأولى حول الدّنيا وبيان هوانها وذلّها على الله وتَعداد مساوئها ، والوحدة الثانية حول الأمور التي تنجّي المتلقّين من التعلّق بالدّنيا ، والوحدة الثالثة قد أدارها المرسل حول صفات الزّاهدين في الدنيا ، والوحدة النصّية الرابعة حول تقريع المتلقّين وتبيين مدى تعلّقهم بالدّنيا وسيطرتها عليهم وكلّ هذه الوحدات النصّية تحقّق الهدف الأساس من النصّ. يبدو لنا واضحاً خلال نظرةٍ عابرةٍ على نصّ الخطبة ،إنّ التلاعب بالألفاظ والتكرار والتضامّ من أهمّ الخصائص الأسلوبية للنصّ التي تجعله في ذروة البلاغة وتعطيه كمال النّضج. لقد اتخذ الإمام (ع) كمُرسِل الخطاب من آليّات التماسك المعجمي خير وسيلة لإنجاز الإستراتيجيات الخطابية المعيّنة تجاه توصيل المعنى

1. Reiteration
2. Collocation

وإفهام المُرسَل إليه بأحسن وجه ممكن؛ كما أنّ ابتداء النصّ بتكرار التبئير وانتهائه بالمصاحبة المعجمية ،جعل النصّ خير نطاق للبحث عن التماسك المعجمي.

١. التكرار

كانت ظاهرة التكرار محطّ اهتمام النُّحاة والبلاغيين منذ القدم واعتبرت أسلوباً شائعاً في فنّ القول لغايات دلالية معيّنة ، كما قيل فيها: «من سنن العرب التكرير والإعادة إرادةَ الإبلاغ بحسب العناية بالأمر» (ابن فارس ، ١٩٩٣م: ٢١٣)؛ فإنّه طريقة تعبيرية لبيان التوكيد والتقرير أو المبالغة وهو باب من أبواب علم المعاني والذي يُسمى بالإطناب كما هو من المحسّنات اللفظية في قسم البديع التي تمنح النصّ الرّوعة والجمال. أمّا التكرار فقد توسّعت آفاق معرفته ومجال وظائفه بتطور اللّسانيات فيعدّ كأهمّ أبعاد الاتّساق المعجمي ويشدّ النصّ محافظاً على بنيته بالتركيز على العلاقات المتبادلة بين المفردات المعجمية كترديد محتوى معينٍ أو إحالة الكلمات المفاتيح لتحقّق التداعي ولإبراز المحاور الأساسية للنصّ. تقوم هذه الظّاهرة على «إعادة عنصر معجمي أو ورود مرادف له أو شبه مرادف» (خطابي ، ١٩٩١م: ٢٤)؛ كذلك إنّها «تشاكل لغوي يلفت الانتباه ومظهر من مظاهر التماسك المعجمي ، حيث يقوم ببناء شبكة من العلاقات داخل المنجز النصّي ويحقق ترابط النصّ» (دي بوجراند ، ١٩٨٨م: ٣٠٣). إنّ تكرار الوحدات المعجمية كصدى الألفاظ يمثّل حلقة وصلٍ يربط اللّواحق بالسّوابق خلال دوران الكلام على نفسه وبهذا العمل يؤدي إلى استمراريّة المعاني والاحتراس من التناسي؛ لأنّ «التكرار يسترجع الذّاكرة فيه إعادة ذكر ما غفل عنه ، فيعلمه السّامع ويؤكّد ما سبق العلم به ويعدّ التكرار اللّفظي أقوى في الرّبط من الضمائر والإشارات» (عكاشة ، ٢٠١٠م: ٣٢٤). فضلاً عن دور التكرار في التماسك النصّي . وجدير بالذكر أنّه من وسائل الخطاب التوجيهي والإقناعي في ساحة البحث التداولي فيعدّ من أقوى وسائل الإقناع في توجيه المتلقّي وإفهامه. يمكن رصد دور ظاهرة التكرار في التماسك النصّي وفق رأي هاليدي خلال درجاتها الأربعة: إعادة العنصر المعجمي[1] (التكرار التامّ أو المحض والجزئي) ، الترادف أو شبه الترادف[2] ،الكلمة الشاملة[3] وألفاظ العموم[4] (هاليدي ، ١٩٧٦م: ٢٨٨)؛ تجدر بالإشارة هنا أنّ القسمين الأخيرين لا يندرجان تحت التماسك

1. Same word or repetition
2. Synonym or near-synonym
3. Superordinate
4. General word

المعجمي ، بل هما يتعلقّان بالتماسك الدّلالي؛ كما أنّ اللسانيين أضافوا إلى هذه الدرجات ، درجةً أخرى المسمّاة بالتوازي أو تكرار الصّيغة التركيبية.

عندما نلقي نظرة اجمالية على الخطبة ١١٢ من نهج البلاغة نجد التكرار خاصية أسلوبيّة غالبة تشدّ النصّ وتحدّد محاور كلام الإمام عليه السّلام؛ كما له قوّة إنجازية في التوجيه والإقناع؛ فيعدّ من أهمّ الاستراتيجيات التي استخدمها المرسل لبلوغ غايته وهي التحذير من الدّنيا. إنّ مهمّة التكرار في هذه الخطبة هي التأثير في إثبات ما قبله وإثارة انتباه المخاطب بالمضمون الأساس وكذلك التوسّع في المعاني؛ لأنّنا «لسنا في التكرار نلحظ اللّفظ على وتيرة واحدة أوّل الإلقاء وبعده ، بل لنا في كلّ تردّد نبر خاصّ ووتيرة خاصة. وكأنّ اللّفظ لا يكرّر حقيقة وإنّما يعاد إخراجه مرّة أخرى في ثوب جديد. إذ ليست مهمّته حين التردّد التنبيه ، أو الإخبار بل مهمّته حفر الاعتقاد الجديد في عمق النفس وتمكين الأثر المتوخّي فيها» (مونسي ، ٢٠٠٥م: ٦٠). ينبغي لنا دراسة دور ظاهرة التكرار في الاتّساق المعجمي للخطبة ١١٢ في ضوء درجاتها الأربعة.

١-١. التكرار التامّ

تتجلّى وظيفة التكرار التامّ في تبئير بعض الوحدات النصّية واتخاذها محاورَ ارتكاز النصّ بغية إدارته عليها؛ هكذا ينطبع العنصر المكرّر في ذهن المتلقّي ويؤدّي إلى استمرار النصّ وتماسك أجزائه. إنّ التبئير يساعد في «تحديد القضيّة الأساسية والكبرى في النصّ بالتأكيد على محتوى معيّن أو تكرار الكلمات المفاتيح» (شبل محمد ، ٢٠٠٩م: ١٠٥).جدير بنا تجسيد مدى تواتر التكرار التامّ في الخطبة خلال الرّسم البياني التالي:

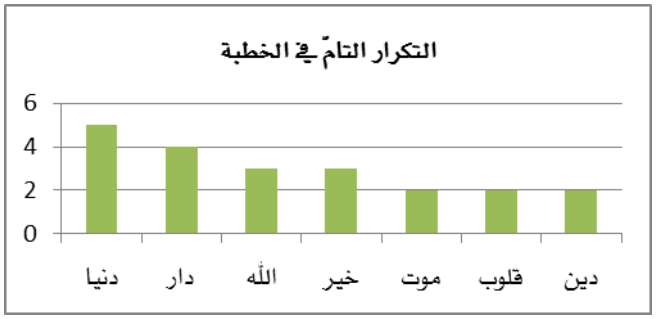

يتجلّى التكرار التامّ في نطاق المفردات المفتاحية وغير المفتاحية خلال كلّ الوحدات النصّية للخطبة ، ومن البيّن أنّ هذا الأمر يؤدّي إلى اتصال المقاطع بالمضمون الأصلي. إن نلقي النظر إلى أكثر المفردات تكراراً في النصّ (الدّار والدنيا والله) نجدها موزّعة في كلّ وحداته بوصفها الكلمات المفتاحية أو المحاور الأصليّة للكلام؛ كما أنّ مفردتي "قلوب" و"موت" كالألفاظ غير المفتاحية ، رغم قلّة التكرار تسهمان في الرّبط بين الوحدتين وحفظ الرّسالة في ذهن المتلقّي. نستطيع ملاحظة كيفية توزيع هذه البؤرات في وحدات الخطبة ١١٢ على النحو الآتي:

«وَأُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا مَنْزِلُ قُلْعَةٍ وَلَيْسَتْ بِدَارِ نُجْعَةٍ وَقَدْ تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِهَا وَغَرَّتْ بِزِينَتِهَا دَارٌ هَانَتْ عَلَى رَبِّهَا فَخَلَطَ حَلَالَهَا بِحَرَامِهَا وَخَيْرَهَا بِشَرِّهَا وَحَيَاتَهَا بِمَوْتِهَا وَحُلْوَهَا بِمُرِّهَا لَمْ يُصَفِّهَا اللَّهُ تَعَالَى لِأَوْلِيَائِهِ وَلَمْ يَضِنَّ بِهَا عَلَى أَعْدَائِهِ خَيْرُهَا زَهِيدٌ وَشَرُّهَا عَتِيدٌ وَجَمْعُهَا يَنْفَدُ وَمُلْكُهَا يُسْلَبُ وَعَامِرُهَا يَخْرَبُ فَمَا خَيْرُ دَارٍ تُنْقَضُ نَقْضَ الْبِنَاءِ وَعُمُرٍ يَفْنَى فِيهَا فَنَاءَ الزَّادِ وَمُدَّةٍ تَنْقَطِعُ انْقِطَاعَ السَّيْرِ» (الوحدة الأولى).

«اجْعَلُوا مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلَبِكُمْ ، وَأَسْأَلُوهُ مِنْ أَدَاءِ حَقِّهِ مَا سَأَلَكُمْ ، وَاسْمَعُوا دَعْوَةَ الْمَوْتِ آذَانَكُمْ قَبْلَ أَنْ يُدْعَى بِكُمْ» (الوحدة الثانية).

«إِنَّ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا تَبْكِي قُلُوبُهُمْ وَإِنْ ضَحِكوا ، وَيَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وَإِنْ فَرِحُوا» (الوحدة الثالثة).

«قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ الْآجَالِ وَحَضَرَتْكُمْ كَوَاذِبُ الْآمَالِ ، فَصَارَتِ الدُّنْيَا أَمْلَك بِكُمْ مِنَ الْآخِرَةِ وَالْعَاجِلَةُ أَذْهَبُ بِكُمْ مِنَ الْآجِلَةِ وَإِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَى دِينِ اللَّهِ/ مَا بَالُكُمْ تَفْرَحُونَ بِالْيَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا تُدْرِكُونَهُ ، وَلَا يَحْزُنُكُمُ الْكَثِيرُ مِنَ الْآخِرَةِ تُحْرَمُونَهُ ، وَيُقْلِقُكُمُ الْيَسِيرُ مِنَ الدُّنْيَا يَفُوتُكُمْ/كَأَنَّهَا دَارُ مَقَامِكُمْ وَكَأَنَّ مَتَاعَهَا بَاقٍ عَلَيْكُمْ» (الوحدة الرابعة).

إنّ العناصر المفتاحية المتكرّرة تسهم في تبئير الوحدات النصّية وتماسكها وتبني فضاء النصّ بتداعي المحاور الأصلية واستحضارها في ذاكرة المتلقي. إنّ المهمة الأساسية في خطبة ١١٢- كما أشرنا آنفاً - هي "ذمّ الدنيا والتحذير منها" التي تتبلور في الألفاظ الدالّة على هذا المفهوم كمفردة "الدنيا" ومفردة "الدار" المستخدمتان بنفس المعنى ، فتؤثّران على النفوس بتكرارهما طوال النصّ. كذلك تعدّ مفردة "الله" من الكلمات المفتاحية في نصّ الخطبة؛ لأنّ «خطب نهج البلاغة بغضّ النظر عن مضامينها المتنوّعة تعدّ نصّاً إلهياً يتمحور كلّ موضوعٍ فيه حول الله تعالى» (برويني ونظري ، ١٣٩٣ش: ٤٣). هنا جدير بنا تسليط

الضّوء على هذه الكلمات المفتاحية لنحلّل وظيفتها في استمرار دلالة الخطبة وتماسكها بالتفصيل:

- الدّنيا

كما أشرنا آنفاً إنّ الهدف الأساس في هذا النصّ هو "التحذير من الدّنيا" فمن الملاحظ أنّ لفظة "الدّنيا" أكثر الألفاظ تواتراً في مستوى الوحدات. لقد افتتح الإمام عليه السّلام هذه الخطبة بالتحذير من الدّنيا مباشراً وجاء بهذه اللّفظة في صدرها ، ثم عمد إلى تبئيرها بالمرادفات والإحالات الضّميرية طوال النصّ. رغم خلوّ الوحدة الثانية من لفظة "الدنيا" ومرادفاتها تماماً ، يعود المرسل إلى ذكر هذه اللفظة في البُنية النصّية الثالثة بتكرارها للتأكيد على هيمنة "الدّنيا" على النصّ بوصفها البؤرة الأساسية التي تدور حوله الوحدات. أمّا بالنسبة لتكرار هذه المفردة في الوحدة الأخيرة ، فقد توزّع ٦٠% منه في هذا المجال وهذه النسبة المئوية لتواتر لفظة "دنيا" تبرز لنا اعتماد المرسل على هذا الأسلوب بغية تفخيم المعنى والتأثير في المتلقّي؛ كأنّه يريد تعرّف الغافلين على أنفسهم والتأكيد على ذمّ الدنيا على وجه العتاب. هكذا فإنّ المرسل يقوم بالتقريب بين الوحدات الأربعة معتمداً على التكرار التامّ رغم ربط الوحدات على المستوى السطحي ، ويبثّ الدّلالة طوال النصّ كما يوجّهها على مستوى بنية النصّ العميقة.

- الدّار

إنّ ترابط لفظة "الدّار" الشبه الترادفي بلفظة "الدّنيا" ممّا يقلّص الفواصل المعنوية بين هاتين اللفظتين ويجعل "الدار" إحالةً داخليةً للدّنيا تعمل على تداعي هذه البؤرة طوال النصّ. إنّ استخدام مفردة "الدّار" كالإحالة المعجمية توحي الشعور بالفناء والانقضاء حسب طبيعته الدّلالية؛ فظهرت مكرّرةً في سياقٍ سلبيٍ كلّما تكرّر تنفي عنها ديمومتها؛ كجمل: «لَيْسَتْ بِدَارِ نُجْعَةٍ» و«دَارٌ هَانَتْ عَلَى رَبِّهَا» و«فَمَا خَيْرُ دَارٍ تُنْقَضُ نَقْضَ الْبِنَاءِ». لقد لجأ المرسل إلى تكرار هذه المفردة متراكمةً في الوحدة الأولى(يبلغ تواترها إلى ٧٥% في هذا المجال)وبهذا التكثيف اللّغوي يقوم بالتأكيد على أهميّة "التحذير من الدنيا" وتفخيمها وفق السّياق الوصفي للوحدة؛ هكذا فإنّ تجاور لفظة "الدّار" بكلمة "نجعة" وفعل "هانت" في الجملة الأولي والثانية ، وكذلك استخدامها في نطاق الإستفهام التقريري في الجملة الثالثة ، ممّا يثبت معنى الفناء وتوحي ذمّ الدّنيا كالمحور الأساس للنصّ. يقوم المرسل بإعادة هذه المفردة في الوحدة النصّية الرابعة ليشدّ تماسك هذا الجزء من النصّ مع ما سبقه في مقام عتاب

الغافلين: «كأَنَّهَا دَارُ مَقَامِكمْ»؛ وبهذا العمل يقوم بتحقيق التماسك الظاهري بين الوحدتين الأولى والرّابعة ، كما يقوم بإبرازالتماسك الدّاخلي العميق بين كلّ وحدات النصّ؛ لأنّ المرسل «قد استخدم مفردة (دار)مضافة في أول ظهورٍ لها (دار نجعة) وجاءت مضافةً كذلك في آخر ورودٍ لها (دار مقامكم) الأمر الذي يعني وحدة الحالة ووحدة المتحدّث عنه» (الوداعي ، 2015م: 102) وبذلك يثبت عند المتلقّي أنّ بؤرة النصّ هي الدّنيا المحذّرة عنها. هكذا اعتمد الإمام(ع) على هذه المفردة لتوجيه النصّ نحو غايته التوصيلية.

– لفظة الجلالة(اللّه)

إنّ التواتر المتساوي لتكرار لفظة "اللّه" في الوحدات النصيةّ ، ممّا جعل هذه اللفظة من المحاور الأصلية للنصّ التي تحقّق هدفه الأساس وهو التحذير من الدّنيا؛ هكذا فمن البديهي أن يكون هذا التذكير باللّه مثيراً التوجّه إلى اللّه ومحقّقاً إنتاج الخطاب وحافظاً على تماسك وحداته. لقد برزت لفظة "اللّه" في «لَمْ يُصَفِّهَا اللَّه تَعَالَى لِأَوْلِيَائِه» خلال الوحدة الأولى لتبيين هوان الدنيا وما فيها من الزينة على اللّه؛ ثم تكرّرت في الوحدة الثانية بهذا التعبير:«اجْعَلُوا مَا افْتَرَضَ اللّهُ عَلَيْكمْ مِنْ طَلَبِكمْ» بغية تذكيرهم بما أومروا من تجنّب التعلّق بالدّنيا؛ لأنّه مذمومٌ عند اللّه وما حذّر اللّه منه لا ينفع البشر. ثمّ تكرار هذه اللّفظة في الوحدة الرّابعة: «أَنْتُمْ إخوَانٌ عَلَى دِينِ اللّه» يدلّ على الرؤية الدينية للإمام –عليه السّلام– التي تكوّن خلفية كلامه فيثير تفخيماً في المضمون ويؤثّر في إعادة الأذهان إلى الغاية الأصلية.

إلى جانب هذه الألفاظ المفتاحية ، توجد عوامل غير محورية في الدّلالة تلعب دوراً ملحوظاً في خلق فضاء الخطاب وتوصيله خلال عملية التبئير؛ بعبارة أدقّ إنّ إنتاج النصّ في الأساس منوط بتكرار الكلمات المفتاحية وغير المفتاحية وتعامل بعضها ببعض. إنّ مفردتي "موت" و"قلوب" الاسميتين وهما تختلفان عن مفردة "الدنيا" المفتاحية في المعنى ، كحلقات الاتصال بين وحدات النصّ ، تسهمان في توجيه الدلالة الكبرى وإيحاء المضمون الأساس ضمن السّياقات الواردة فيه.

– الموت

إنّ تكرار مفردة "موت" ، رغم ندرة استخدامها طوال النصّ (يبلغ تواترها مرّتين) ، يتّخذ منها بؤرةً تحقّق الترابطبين الوحدتين الأولى والثانية وتجعلهما في مسار المضمون الأساس. إنّ الموت خليطٌ بالحياة نحسّ به إثناء حياتنا في الدنيا وسنواجهه يوماً بالتأكيد؛ كما يؤكّد

الإمام عليه السلام على هذه الحقيقة بقوله في وصف هوان الدنيا: «فَخَلَطَ حَلَالَهَا بِحَرَامِهَا وَخَيْرَهَا بِشَرِّهَا وَحَيَاتَهَا بِمَوْتِهَا». إنّ هذا الاختلاط بين الموت والحياة يجعلنا كالمتلقّي في موضع التفكير لاتخاذ موقفٍ مناسبٍ تجاه الدنيا ، ويثير هذا السؤال في الأذهان: إذا كان الموت نهاية الحياة ، فما هو أفضل منهج للسعادة في الدنيا؟ يجيب الإمام (ع) على هذا السؤال بهذا التعبير في الوحدة الثانية: «وَاسْمَعُوا دَعْوَةَ المَوتِ آذَانَكُمْ قَبْلَ أنْ يُدعَى بِكُمْ». إنّ هذا التفاعل بين الوحدتين يوجّه المعنى تجاه الغرض الأصلي؛ لأنّ تذكّر الموت يستلزم تجنّب الدنيا وينتهي إليه.

– القلوب

يبدو من ظاهر هذه المفردة ، أنّها لا ترتبط بالبؤرات الأخرى الدالّة على نظرة الإمام –عليه السّلام– إلى الكون والدنيا ، لكنّا إن نتأمّل في دلالتها وتوزيع هذه الدلالة في السياقات النصّية ، نجد أنّ تكرار هذه المفردة تساعد البؤرات الأخرى في خلق المضمون الأساس. إنّ تكرار مفردة "قلوب" الدالّة على ضمير الإنسان يساعد في توجيه حركة المعنى طوال النصّ بخلق الجوّ القياسي بين ضمير الزاهدين الذين تركوا التعلّق بالدنيا في الوحدة الثالثة: «الزَّاهِدِينَ في الدُّنْيَا تَبْكي قُلُوبُهُمْ وَإنْ ضَحِكوا ، وَيَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وَإنْ فَرِحُوا» ، وبين ضمير الغافلين اللذين يحبّون الدنيا ويلومهم الإمام (ع) مخاطباً إيّاهم في الوحدة الأخيرة: «قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكمْ ذِكرُ الآجَالِ». كما نعلم إنّ القلب موطن اليقين والإيمان بالعقائد ، فإنّه يرتبط باختيار التعلقّات كحبّ الدنيا؛ لأنّ حبّ شيءٍ والتعلّق به ممّا يحدّد كيفيّة حياة الإنسان وأسلوبه الفكري. هكذا فإنّ هذا القياس بين الضمائر هو ما يؤكّد على التحذير من الدنيا بوصفه المضمون الأساس.

– الخير

وأخيراً ،جدير بنا الإشارة إلى كلمة "خير" ،وهي من المفردات الكثيرة التكرار في هذه الخطبة التي لا تعدّ بؤرةً تشدّ الوحدات النصيّة ، بل تعمل على الربط بين الجمل في الوحدة الأولى. كما أنّ لكثافة تكرار هذه الكلمة في الفقرة الأولى أثراً حجاجياً لاسيّما في موضعٍ تنتقل من الاسم إلى الصّفة أي صيغة التفضيل وفق السّياق. إنّ هذا الانتقال فضلاً عن خاصيّته الترابطية يؤثّر في إقناع المتلقّي بخلق الجوّ القياسي الناتج عن ذكر شرور الدّنيا؛ لأنّ اسم التفضيل يعدّ من الآليّات الحجاجيّة. إنّ هذه المشاكلة تزيل الرّتابة في خيط النصّ

إذ «يمكن لإعادة اللّفظ أن تستعمل مع انتقال الوظيفة النحوية لعبارة ما ويكيّف العنصر المكرّر بالكيفية السّياقية» (دي بوجراند ، ١٩٨٨م: ٣٠٥).

١-٢. التكرار الجزئي

إنّ التكرار الجزئي يؤدّي دوره الوظيفي في تماسك النصّ وتلاحمه على صعيدين: الصّوتي و الدّلالي. يتمّ التماسك الصّوتي بتكرار حروف معيّنةٍ في بنية الألفاظ كظاهرة جناس الاشتقاق ، وبإيحاء تناغمٍ في النصّ ممّا يقع المضمون في النفوس خلال استدعاء الألفاظ؛ أمّا التماسك الدّلالي فيحقّق بالترابط المفهومي بين الوحدات المعجمية ذوات الجذور الواحدة في النصّ. يوحي التكرار الجذري اتفاقاً في المعانى بتطابق الوجوه الحسّية للألفاظ ويؤثّر ، فضلاً عن التنغيم والإيحاء ، في إزالة الرّتابة التي تؤدّي إلى مجرّد التكرار ، كما أنّه يقوم بالتوسّع في دائرة المعاني. إذا نهتمّ بمواضع التكرار الجزئي في هذه الخطبة موضع التحليل ، نجد توزيعه يكون «تجاورياً أو متّصلاً؛ وقد يكون تباعدياً أو منفصلاً وهو للتأكيد والتنبيه والكثير منه للتذكير» (عكاشة ، ٢٠١٠م: ٣٢٤). إنّ التكرار التجاوري في هذه الخطبة يحتلّ 66٪ من مجال التكرار الجزئي في النصّ ، ويبرز في هيئة جناس الاشتقاق ويعمل على الربط بين الجمل في الوحدة النصّية الواحدة مثل المقام التالي:

«وَأُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا مَنْزِلُ قُلْعَةٍ وَ لَيْسَتْ بِدَارِ نُجْعَةٍ وَقَدْ تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِهَا وَغَرَّتْ بِزِينَتِهَا دَارٌ هَانَتْ عَلَى رَبِّهَا فَخَلَطَ حَلَالَهَا بِحَرَامِهَا وَخَيْرَهَا بِشَرِّهَا وَحَيَاتَهَا بِمَوْتِهَا وَحُلْوَهَا بِمُرِّهَا لَمْ يُصَفِّهَا اللَّهُ تَعَالَى لِأَوْلِيَائِهِ وَلَمْ يَضِنَّ بِهَا عَلَى أَعْدَائِهِ خَيْرُهَا زَهِيدٌ وَشَرُّهَا عَتِيدٌ وَجَمْعُهَا يَنْفَدُ وَمُلْكُهَا يُسْلَبُ وَعَامِرُهَا يَخْرَبُ فَمَا خَيْرُ دَارٍ تُنْقَضُ نَقْضَ الْبِنَاءِ وَعُمُرٍ يَفْنَى فِيهَا فَنَاءَ الزَّادِ وَمُدَّةٍ تَنْقَطِعُ انْقِطَاعَ السَّيْرِ» (الوحدة الأولى).

– تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِهَا وَغَرَّتْ بِزِينَتِهَا

أراد الإمام –عليه السّلام –هنا التأكيد على صفة تغرير الدّنيا بالإنسان ، فقدكرّر جذري "زين" و"غرر"في الجملتين ليجعل منهما بؤرةً نصّيةً يعود إليها مضمون الوحدة الرابعة وهي «وَحَضَرَتْكُمْ كَوَاذِبُ الْآمَالِ»؛ هكذا فما الآمال «التي يشير إليها إلا زينة الدّنيا التي تزيّنت بها لتغرّ الإنسان» (الوداعي ، ٢٠١٥م: ١٠٣). إنّ هذا الترديد أو المعاكسة رغم إحكام تماسك النصّ ، يعدّ من أهمّ استراتيجيات الخطاب لدى الإمام –عليه السّلام– لقوّته في تأكيد المعاني وخلق صورة متشابكة الحلقات من الخدعة والزينة للترسيخ في ذهن المتلقّي بأحسن

وجهٍ؛ لأنّ تكرار الجذر أو جناس الاشتقاق بوصفه محسنّة لفظية «ليست اصطناعاً للتحسين والبديع وإنّما هي أصلاً أساليبٌ للإبلاغ والتبليغ» (الشهري، ٢٠٠٤م: ٤٩٨)؛ على هذا الأساس، فإنّ ذكر عواقب الاهتمام بزينة الدّنيا يعدّ من آليّات الخطاب التوجيهي.

- تُنقَضُ- نَقض/ يَفنَي- فَناء/ تَنقَطِعُ- انقِطاع

يستمرّ المرسل خطابه في التحذير من حبّ الدنيا معتمداً على تكرار الجذور في الجمل القصيرة المتوالية. إنّ هذه الإحالات المعجمية المؤدّية دور المفعول المطلق تسبّب ترسيخ المعنى بتأكيده وتوجيه الخطاب تجاه الغاية المنشودة. لقد استخدم الإمام -عليه السّلام- هذه المصادر في نطاق التشبيه لإيحاء الشعور بالفناء والانقضاء باتخذها أوجه الشبه وبحذف أداة التشبيه أو المسافة الفاصلة بين الطرفين؛ إذ إنّ هذا الاختيار «مدخل التّوكيد وإيهام بالتطابق وهو أمر يرتبط بغياب شحنة المعقولية التي يقوم عليها الجمع بين طرفي التشبيه» (الزناد، ١٩٩٢م: ٢٣).ومن جهة أخرى إنّ توالي "النقض" و"الفناء" و"الانقطاع" من حقل دلالي واحد، يوجّه المتلقّي نحو قبول النّصح في المقطع اللّاحق حيث يحيل إلى هذه البؤرة تعبير «وَأسمِعُوا دَعْوَةَ المَوْتِ آذانَكمْ قَبْلَ أنْ يُدْعَى بِكمْ» أي التهيّؤ للموت قبل حلول الفوت وبهذا الأسلوب يقوم بإحكام السّبك في مقاطع النصّ.

لقد استخدم الإمام -عليه السلام- ٥٠% من الجذور المكرّرة المتجاورة، في نسيج الوحدة الأولى وبهذا الاختيار الواعي يفخّم أهميّة قوله في وصف هوان الدنيا؛ فيثير به انتباه المتلقي ويلفت نظره وفق استراتيجية الإقناع المختارة. ومن مصاديق اعتماد المرسل على التكرار الجزئي المتجاور في الوحدة الثانية، يمكن الإشارة إلى هذا المقطع:«اجْعَلُوا مَا افْتَرَضَ عَلَيْكمْ مِنْ طَلَبِكمْ، وَأَسْأَلُوهُ مِنْ أدَاءِ حَقِّهِ مَا سَأَلَكمْ، وَأسمِعُوا دَعْوَةَ المَوْتِ آذانَكمْ قَبْلَ أنْ يُدْعَى بِكمْ»(الوحدة الثانية).

- أسْأَلُوهُ مِنْ أدَاءِ حَقِّهِ مَا سَأَلَكمْ

من الملاحظ أنّ الاتّساق يتمّ في هذا التعبير من خلال تكرار مادّة "سأل" وإنّ هذا التّكرار الجزئي فضلاً عن التأثير في التّماسك السّطحي، له خاصيّة دلالية توجيهية تنفرد بها هذه الخطبة وهي المشاكلة أي ذكر مفهومٍ بلفظ غيره وفقَ المقام. تتجلّى هذه المحسّنة في «إطلاق السّؤال على الفرائض والأوامر من باب المجاز بجامع الطلب» (الهاشمي الخوئي، لاتا: ج45/8)؛ على هذا الأساس فإنّ المتلقّي يقوم بالوقوف أمام السّؤالين؛ السّؤال الحقيقي (اسألوه) بمعني طلب العون، والسّؤال المجازي (سألكم) بمعني الافتراض والإلزام؛ لأنّ الله

-سبحانه وتعالى- منزّه عن السؤال. فإنّ السؤال هنا «أمر تفصيلي موضّح من الله تعالى بما أراد أن يكون عليه العبد ليرتقي مستوى المسؤولية» (الحميداوي، ٢٠١١م: ٢١٥). فهذا التلائم اللّفظي يمنح الكلام حلاوةً وطلاوةً تقوّيان الأثر الدّلالي المطلوب في نفس المتلقّي خلال حضّه على التفكير للوصول إلى التأويل المراد.

- دَعوَة- يُدعَى

لقد كرّر الإمام -عليه السلام- كمرسل الخطاب مادة "دع و" في هذه الجملة المستخدمة في مقام النصح والأمر: «وَأسمِعُوا دَعْوَةَ المَوْتِ آذانَكمْ قَبْلَ أنْ يُدْعَى بِكمْ»؛ إنّ تبلور مادة "دعو" في فعل "يُدعى" المجهول يصوّر لنا استلاب قوّة الاختيار من الإنسان حين احتضاره؛ فإنّ المرسل قبل استعمال هذه البنية الفعلية، يصبّ مادة "دعو" في وعاء مفردة "دعوة" ويجعله في نطاق الأمر لتحقّق الاستراتيجية التوجيهية. فيبرز لنا هذا التكرار الجزئي أهميّة وظيفة الإنسان في الدنيا على وجه التأكيد.

من نماذج التكرار الجزئي المتجاور في الوحدة الرابعة يمكن الإشارة إلى هذا المقطع: «قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ الآجَالِ، وَحَضَرَتْكُمْ كَوَاذِبُ الآمَالِ، فَصَارَتِ الدُّنْيَا أمْلَكَ بِكُمْ مِنَ الآخِرَةِ، وَالْعَاجِلَةُ أذْهَبَ بِكُمْ مِنَ الآجِلَةِ» (الوحدة الرابعة). تتضمّن هذه الوحدة ٣٠% من ظاهرة التكرار الجزئي في الخطبة، التي تقوم بوظيفة التأكيد والإقناع رغم تحقيق الترابط بين الجمل:

- آجال- آجلة

إنّ المرحلة الأخيرة في إلقاء الخطبة بمضمونها «التحذير من الدنيا»، هي لوم الغافلين بتخاطبهم. إنّ العتاب يحتاج إلى البراعة وحسن انتقاء الألفاظ للتأثير الأحسن، كماهو يفيض من مصدر العواطف؛ هكذا فإنّ العتاب في كلام الإمام -عليه السلام- مصبوغ بعاطفة الحزن والأسف متوازناً لبواعثه في توبيخ الغافلين على تعلّقهم بالدنيا، لأنّه (ع) كان يودّ الناس ويطلب سعادتهم. نظراً لهذه الحقيقة من الواضح أنّ الإمام (ع) يلجأ في كلامه إلى آليات الإقناع؛ فإنّ التوكيد القائم على التكرار يلعب دوراً ملحوظاً في إنجاز هذه الوحدة. من أهمّ نماذج التكرار الجزئي في الوحدة الأخيرة، تكرار مادة "أجل" في مفردة "آجال" وهي جمع أجَل بمعنى المدّة المحدّدة لانتهاء الشيء، وفي مفردة "الآجلة" بمعنى الآخرة في نطاق الجمل التوبيخية الخبرية بغية الإيحاء بالندامة خلال تأكيد المضمون.

أمّا بالنسبة للتكرار الجزئي المتباعد ، بما أنّ عناصره موضوعةٌ في الوحدات النصّية المختلفة والمتباعدة فمن الواضح أنّ أكثرها يسهم في تحقيق تماسك النصّ وشدّ وحداته خلال عملية التبئير وفق السّياق. وفي هذه الخطبة نلاحظ أنّ تكرار جذر "حزن" في الوحدة الثالثة والرابعة يعمل على تبئير الوحدتين على النحو الآتي:

- «إِنَّ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا تَبْكِي قُلُوبُهُمْ وَإِنْ ضَحِكُوا ، وَيَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وَإِنْ فَرِحُوا» (الوحدة الثالثة)
- «مَا بَالُكُمْ تَفْرَحُونَ بِالْيَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا تُدْرِكُونَهُ ، وَلَا يَحْزُنُكُمُ الْكَثِيرُ مِنَ الاخِرَةِ تُحْرَمُونَهُ» (الوحدة الرابعة)
- حُزْنُهُم- يَحزُنُكم/ فَرِحُوا- تَفرَحُونَ

لقد تجلّت مادّة "حزن" في لفظة "الحزن" ، ومادّة "فرح" في مفردة "فرحوا" في سياق وصف الزّاهدين في الدّنيا بقوله: «وَيَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وَإِنْ فَرِحُوا» ، ثمّ استغلّ المرسل هاتين المادّتين في خلق بؤرةٍ نصّيةٍ يدور حولها مضمون الوحدتين الثالثة والرابعة وهو المقارنة بين الزّاهدين في الدّنيا والمغترين بها. ثمّ كرّر المرسل هذه المادّة في مفردتي "يحزنكم" و"تفرحون" في سياق تقريع المغترين بقوله: «وَلَا يَحْزُنُكُمُ الْكَثِيرُ مِنَ الْآخِرَةِ تُحْرَمُونَهُ»؛ وبهذا التبئير يعمل على الربط بين وحدات النصّ.

١-٣. الترادف

إنّ الترادف كأحد وسائل الاتّساق يصبّ الدّلالات الواحدة في أوعية الألفاظ المتعدّدة ويسهم بهذا الترديد الدلالي في تماسك الوحدات النصّية. يرجع «استخدام الترادف بدلاً من التكرار المباشر للكلمة إلى نفي الشّعور بالضّجر والملل ، حيث إنّ المرادف المستخدم يضفي على المحتوى تنوّعاً» (شبل محمد ، ٢٠٠٩م:١٠٧)؛ هكذا فإنّ الترادف يؤدّي أدواراً عدّة:

١. إنّه يشدّ النصّ بالاستمرار الدّلالي مع الرّبط الجيّد؛

٢. كما يبرز المحاور الأساسية للكلام وكيفيّة حركة المعنى في السّياق؛ لذلك لا ينبغي أن يعالج الترادف منفكّاً عن السّياق؛

٣. كذلك ينفخ روح الحيويّة والنشاط بإزالة الرتابة؛ لأنّه «يمكن إعادة اللّفظ في العبارات الطويلة أو المقطوعات الكاملة أن تكون ضارّة وتحبط الإعلامية» (دي بوجراند ، ١٩٨٨م: ٣٠٦)؛

٤. وأخيراً يسهم في إنتاج الخطاب بطبيعته الحجاجيّة؛ لأنّه يمثّل ترديد المعنى؛ ويمنح الكلام التوسّع في مستوى اللّفظ والمحتوى.

أمّا بالنسبة لاستخدام الترادف في هذا النصّ، فقد اعتمد الإمام -عليه السّلام- على هذه التقنية في مجالين: المقام النصّي الواحد لأجل الربط بين جمله، ومجال النصّ بوحداته الكبرى لأجل الربط بين تلك الوحدات النصّية خلال تركيز النظر على قضية محوريّة في النصّ، متجنّباً إعادة اللّفظ بغية إيحاء النشاط الذّهني. من تجليّات دور الترادف في الربط بين أجزاء الوحدة النصّية الواحدة فيمكن الإشارة إلى هذين العنصرين:

- يَخرَبُ- تُنقَضُ

لقد لجأ المرسل إلى ظاهرة الترادف في الجملتين المتتاليتين خلال وصف هوان الدنيا: «وَعَامِرُهَا يَخْرَبُ. فَمَا خَيْرُ دَار تُنْقَضُ نَقْضَ الْبِنَاءِ». كما نلاحظ قد جاء الإمام -عليه السّلام- بلفظة "يخرب"في إطار الجملة الخبرية بغية وصف خصائص الدّنيا؛ ثمّ استخدم لفظتي "تنقض" و"نقض" دون فاصلةٍ في الجملة اللّاحقة بنفس المعنى -أي الهدم والخراب- خلال النطاق الاستفهامي. إنّ اختيار الاستفهام التقريري بعد الجملة الخبرية بأفعال ذوات وحدة الدلالة ممّا يؤكّد على المعنى الوصفي.

ما يلفت الانتباه خلال البحث عن وظيفة الترادف في الربط بين الجمل في المقام النصّي الواحد، هو ظاهرة التقارب الدّلالي أو شبه الترادف التي تتجلّى في هذه الجملة من الوحدة الأخيرة: «مَا فَرَّقَ بَيْنَكمْ إلَّا خُبْثُ السَّرائِرِ وَسُوءُ الضَّمائِرِ». إنّ التشابه الدّلالي بين المستثنى ومعطوفه هو ما يزيد في تأكيد الكلام؛ لأنّ هذه الجملة تتضمّن دلالةً توكيديةً بأسلوب الاستثناء؛ فإنّ ظاهرة شبه الترادف هنا رغم تحقيق التماسك بين الجمل، توجّه الكلام تجاه غاية الإقناع.

وبالنسبة لدور الترادف في تبئير الوحدات النصّية ونشر الدلالة طوالها، ينبغي لنا الإشارة إلى هذه العناصر المعجمية:

- الدار- المنزل- العاجلة:

إنّ مفهوم لفظة "الدنيا" بوصفها المحور الأساس لهذه الخطبة، يتكرّر عدّة مرّاتٍ طوال الوحدات الثلاثة - ما عدا الوحدة الثانية- بألفاظ "الدار" و"المنزل" و"العاجلة" بنفس المعنى، ويخلق التبئير بهذه الوحدة الدلالية. إنّ المرسل باعتماده على هذه الظاهرة المعجمية يبثّ استمراراً في معنى النصّ خلال التّداعيات الدّلالية ويسوق بها النصَّ نحو الإنتاج؛ كما أنّ اختيار هذه المفردات المترادفة يزيل الملال والرتابة عن المقاطع النصّية.

١-٣. تكرار التوازي

إنّ تكرار التوازي يقوم بالرّبط بين الوحدات في المسار الأفقي للنصّ خلال إعادة الصّيغ التركيبية وترتيبها على اللّفظ دون المعنى؛ كما يعدّ «من وسائل الإقناع اللّفظي ، وهو من ملامح الصّنعة في الخطاب العربي. فإنّه من الناحية اللّفظية يروع السّمع ويمثّل اتصالاً لفظياً ، كما هو من ناحية المعنى قد يكون مؤكّداً لمعنى لفظ قبله» (عكاشة ، ٢٠١٠م: ٣٣٢). إنّ هذه التقنية تقوم بدورها الربطي بتبئير بعض الوحدات النصّية للترسيخ في ذهن المتلقّي وكذلك تسهم في خلق التماسك الصّوتي القائم على الإيقاع داخل النصّ. لقد أطلق العفيفي على هذه التقنية عنوان "التكرار الجراماتيكي" وعرّفها كآليةٍ من آليّات الترابط النصّي يعني بها: «تكرار لنظم الجمل بكيفيّة واحدة أي تكرار للطريقة التي تبني بها الجملة وشبه الجملة مع اختلاف الوحدات المعجمية التي تتألّف منها الجمل» (عفيفي ، ٢٠٠١م: ١١٢). وهكذا فإنّ التوازي الذي يعرف بدوره الإيقاعي يعمل على تبئير النصّ وكما أنّ للإيقاع أثراً في رهافة الآذان وإثارة العواطف ، فإنّ له أثراً أعمق في خلق التماسك النصّي وفق السّياق.

لقد اعتمد الإمام -عليه السّلام- في هذه الخطبة على التوازي في إنشاء التبئير بين أجزاء المقام النصّي الواحد ، بغية إبقاء المضمون في ذهن المتلقي؛ فإنّه لا يلجأ إلى تقنية التوازي للربط بين الوحدات النصّية الكبرى ، بل «غالباً ما يكرّر صيغة تركيبيةً واحدةً في كلّ وحدةٍ نصّيةٍ صغرى» (الوداعي ، ٢٠١٥م: ١٠٧). أمّا بالنسبة لكيفية استخدام هذه التقنية في الخطبة فإنّ معظمها (يبلغ تواترها إلى٥٧٪) استغلّ في الوحدة الأولى؛ لأنّ المخاطب يحتاج إلى الإقناع بأهميّة القضية خلال التوكيد في وصفها ، ثمّ يقبل النصح. ومن نماذج دور التوازي في انسجام وصف هوان الدنيا ، نشيرُ إشارة عابرة إلى الصيغ التركيبية التالية:

- الإسم+ الضمير+ حرف الجرّ+ الإسم+ الضمير (المضاف+ المضاف إليه)

«فَخَلَطَ حَلَالَهَا بِحَرَامِهَا وَخَيْرَهَا بِشَرِّهَا وَحَيَاتَهَا بِمَوْتِهَا وَحُلْوَهَا بِمُرِّهَا»

يصوّر لنا تكرار التوازي المتجلّي في هذه الصّيغة التركيبية وجهاً من وجوه الصّفات السّلبية للدّنيا وهو نظامه المبني على المتناقضات؛ كما يؤكّد على رؤية الإمام -عليه السّلام- تجاه الدنيا؛ لأنّه لا يفكّك بين هذه الثنائيات ، بل يرى في كلّيتها وحدة متضادة. لقد اتّخذ المرسل من هذا التكرار في البنية النحوية بؤرةً لانتقال المضمون إلى المخاطب ، كما خلق منها تناسقاً إيقاعياً وتماسكاً صوتياً لثبات الرّسالة في ذهن المتلقّي. ومن والجوه الأخرى لتصوير سلبيّات الدنيا المعتمدة على تكرار التوازي ، يمكن الإشارة إلى هذه الصيغ:

– الإسم+ الضمير+ الصفة المشبهة(فعيل)
«خَيْرُهَا زَهِيدٌ وَشَرُّهَا عَتِيدٌ»

– الإسم+ المضاف إليه+ الفعل المضارع+ المفعول المطلق+ المضاف إليه
«دَارٍ تُنْقَضُ نَقْضَ الْبِنَاءِ وَعُمُرٍ يَفْنَى فِيهَا فَنَاءَ الزَّادِ وَمُدَّةٍ تَنْقَطِعُ انْقِطَاعَ السَّيْرِ»

ومقامٌ آخر يتحلّي بتقنية التوازي (يبلغ تواتره فيه إلى ٢٨,٥٪) هو مقام لوم الغافلين عن الآخرة الذي يتطلّب هذا النوع من التكرار لتأثيره الإيقاعي والتوكيدي في حفظ الرّسالة وخلق التبئير:

– أداة النفي (لا)+ الفعل المضارع+ الفاعل
«لَا تَوَازَرُونَ وَلَا تَنَاصَحُونَ وَلَا تَبَاذَلُونَ وَلَا تَوَادُّونَ».

2. التضامّ

تقوم آلية"التضامّ" ، بوصفها إحدى أعمدة التماسك المعجمي ، على العلاقات الزوجيّة؛ لأنّ العنصر المعجمي لا يتضمّن الاتّساق بذاته وإنّما الاتساق يتحقّق بتضافر العناصر الأخرى في نسيج النصّ؛ فإنّ «ورود العنصر في سياق العناصر المتعالقة هو الذي يهيّيء الاتّساق ويعطي للمقطع صفة النصّ» (الخطابي ، ١٩٩١م: ٢٥)؛ هكذا فإنّ التضامّ باعتماده على الترابط بين أجزاء النصّ وسياقاتها ينتهي إلى تفسير الخطاب وتأويله. يبنى نظام التضامّ على إيحاء الألفاظ المتجاورة التي «يتكرّر استخدامها في سياقاتٍ متشابهةٍ ، ممّا يخلق أساساً مشتركاً بين الجمل في النص» (شبل محمّد ، ٢٠٠٩م: ١٥٣) بغية توجيه حركة المعنى نحو إنتاج النصّ وتكوينه ككلٍّ منسجم. إضافةً إلى ذلك ، إنّ الاتّساق المعجمي يُبقي المتلقّي في دائرة المضمون قادراً على الربط بين المضامين لنيل الدلالة الكبرى ويجعله مشاركاً في فكّ شفرات النصّ.

من أهمّ عناصر تقنية التضامّ حسب رأي هاليدي ، ظاهرة الطّباق[1] التي تنظّم سلسلة المعاني في الوحدات لتوصيل الخطاب وإفهامه «كجزء من بنيةٍ كليةٍ تتضافر فيما بينها لإنتاج النصّ» (عيد ، لاتا: ٢٣٧). ثمّ إنّ الطباق كالأسلوب الغالب على نصّ الخطبة بجانب التكرار ، له صبغة حجاجيّة تسبّب إقناع المتلقي في وصف الدّنيا كالمحور الأساس لكلام الإمام –عليه السّلام–. ومقام وصف الدنيا يتطلّب الحديث عن أبعادها المتناقضة؛ لأنّها بنيت على التضادّ. فكلّما تزداد آمال الإنسان يقلّ زاده للآخرة كما أنّ كلّ شيء في الدنيا يفنى يوماً. جدير بالذّكر هنا أنّ الطباق في البحوث البلاغية القديمة كان منحصراً في إطار الجملة؛ كما قيل إنّ «من

1. Opposition

صفات الأدب الجيّد تلاحم أجزائه وائتلاف ألفاظه، حتّى كأنّ الكلام بأسره من حسن الجوار وشدّة التلاحم كلمةٌ واحدةٌ وحتّى كأنّ الكلمة بأسرها حرفٌ واحدٌ وكما يتمّ هذا التلاحم عن طريق التشابه يتمّ كذلك عن طريق التضادّ» (الوداعي، ٢٠١٥م: ٦٨؛ نقلاً عن عتيق، ١٩٩٨م: ٧٠)؛ أمّا الطباق في ساحة علم اللّغة النصّي، فتتسّع آفاق وظائفه بالتجاوز عن الجمل إلى الوحدات النصّية لتوصيل الدلالة الكبرى فيعالج في مستويات ثلاثة:

١. الطباق على مستوى كلمتين في جملة واحدة.
٢. الطباق على مستوى جملتين في الوحدة النصّية الواحدة.
٣. الطباق على مستوى وحدتين نصّيتين في النصّ.

٢-١. طباق كلمتين في جملة واحدة

يحقّق الطباق التماسك النصّي بخاصية الاستدعاء؛ لأنّ الضدّ يستدعي ضدّه والذّهن في نفس الوقت يتصوّر أحدهما عند تصوّر الآخر. هكذا فقد اعتمد المرسل في هذه الخطبة على الطّباق اعتماداً كبيراً؛ فمن الملاحظ في الوحدة الأولى استخدام الأزواج المتناقضة وفق سياقها الوصفي (الحلال-الحرام ،الخير-الشر ،الحياة-الموت):

«دَارٌ هَانَتْ عَلَى رَبِّهَا فَخَلَطَ حَلَالَهَا بِحَرَامِهَا وَخَيْرَهَا بِشَرِّهَا وَحَيَاتَهَا بِمَوْتِهَا وَحُلْوَهَا بِمُرِّهَا لَمْ يُصَفِّهَا اللَّهُ -تَعَالَى- لِأَوْلِيَائِهِ وَلَمْ يَضِنَّ بِهَا عَلَى أَعْدَائِهِ خَيْرُهَا زَهِيدٌ وَشَرُّهَا عَتِيدٌ وَجَمْعُهَا يَنْفَدُ وَمُلْكُهَا يُسْلَبُ وَعَامِرُهَا يَخْرَبُ» (الوحدة الأولى).

إنّ تراكم اختيار الأزواج المتضادّة في هذا المقطع القصير، يلائم فحوى الكلام؛ لأنّ الإمام -عليه السّلام- يرى الدّنيا محلّ اجتماع المتناقضات، فيختار تقنية الطباق أداةً استراتيجية لإلقاء الخطاب بتلقين الاضطراب لمواجهة التناقض في طبيعة الدنيا. هكذا يجد المتلقّي نفسه أمام نظامٍ متناقضٍ فيستعدّ للإصغاء إلى النّصح وبذلك يرتبط كلّ جزء بتاليه ويحقّق التماسك. إنّ الطباق في كلّ هذه الأزواج، إيجابيّ متقاربٌ نظرًا لمجاورته. تؤكّد الهندسة التي أجراها الإمام(ع) على النتيجة المنطقية التي جاء بها بعدها وهي التحذير من الدّنيا:

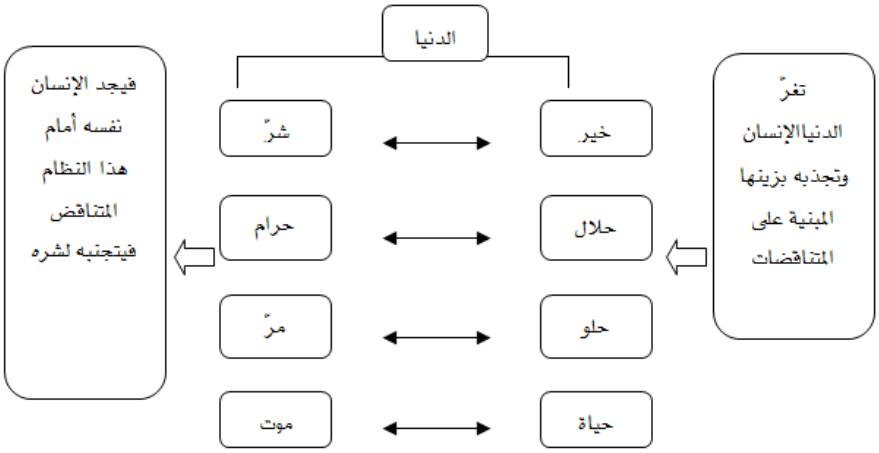

إنّ اللّجوء إلى هذاالنوع من الطّباق يحفظ الرّسالة في ذهن المتلقّي خلال الترابط القائم على عملية التداعي بين طرفي الطّباق وفق الدّلالة الكبرى. وربّما باعد المرسل بين طرفي الطباق في المقطع الثالث من هذه الخطبة في ذكر خصال الزّاهدين:

- «إِنَّ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا تَبْكِي قُلُوبُهُمْ وَإِنْ ضَحِكوا ، وَيَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وَإِن فَرِحُوا»(الوحدة الثالثة).

إنّ التماسك في هذا المقطع يتجلّى في اختيار الطّباق خلال الجملتين المتتاليتين الذي يخلق صورة قياسية بين ضمير الزّاهد وظاهره. إنّ الزوج الأوّل في جملة «تبكي قلوبهم وإن ضحكوا» يدلّ على التصرّفات الناتجة عن مشاعر الحزن والفرح. إنّ الإمام عليه السّلام جاء بلفظ "البكاء" لتوافقه مع الضّحكة في جامع التصرّف أو الفعل الشعوري القابلة للحسّ وللرّؤية بالعين. لقد استعار المرسل لفظ "تبكي" للقلب معبّراً عن الحزن العميق واستخدمه في نطاق هذا الطباق «إشارةً إلى دوام حزنهم لملاحظتهم الخوف من الله فإن ضحكوا مع ذلك فمعاملة مع الخلق» (البحراني ، ١٤٣٠ق: ٤٥٠). وفي جملة «يشتدّ حزنهم وإن فرحوا» ،يؤكّد الإمام (ع)نفسَ المعنى ولكن بالإشارة إلى الشعور الباطني ، ويشدّ الاتساق بين هذين التضادّين وبين الفقرات الأخرى بجعل المخاطب يقيس نفسه بالزّاهدين. وقد عمد المرسل إلى الأزواج المتطابقة الأخرى في الوحدة الرابعة:

- «وَالعَاجِلَةِ أذْهَبَ بِكمْ مِنَ الآجِلَةِ»(الوحدة الرابعة)؛
- «قَدْ تَصَافَيْتُمْ عَلَى رَفْضِ الآجِلِ وَحُبِّ العَاجِلِ»(الوحدة الرابعة).

جعل المرسل في المثال الأوّل الطباق بين "العاجلة" و"الآجلة" في إطار القياس ومثله الجملة الثانية ليثير بهما انتباه المخاطب. يعدّ الطباق بين "الحبّ" و"الرّفض" من نوع الإيهام؛ لأنّ الرفض نتيجة الكراهة وأداة إبرازها؛ هكذا فإنّ كلّ هذه الأزواج يسهم في تحقّق الغاية المحورية وهي ذمّ الدنيا.

٢-٢. الطباق بين جملتين في بنية نصّية واحدة

من الواضح أنّ الطباق بين جملتين في المقطع النصّي الواحد ، يقوم بتوسيع دائرة التماسك النصّي؛ لأنّ ذهن المتلقّي يقوم بالترابط بين الجمل بجامع التضادّ؛ فيتجاوز مستوى الجملة الواحدة نحو الكشف عن التماسك في نظام أكبر. أمّا بالنسبة للخطبة ١١٢ ، نجد هذا النوع من الطباق في الوحدة الأولى:

- «فَإِنَّهَا مَنْزِلُ قُلْعَةٍ وَ لَيْسَتْ بِدَارِ نُجْعَةٍ»(الوحدة الأولى).

لقد أثبت المرسل في مستهلّ هذه الوحدة صفة الزوال للدّنيا(فإنّها دار قلعة) وبذلك يجعل المتلقّي في حالة الترقّب؛ ثمّ يعتمد المرسل على ذكر الصّفة المترقبة مضادّة للصّفة الأولى(وليست بدار نجعة) فسلب عن الدّنيا صفة الدّيمومة والبقاء والمرسل هنا «يجعل المتلقّي في حالة يقظة تامّة يقدّم جزءاً من الرّسالة غير تامّ ممّا يجبر المتلقّي على ربط أجزاء الكلام بعضها ببعض» (الوداعي ، ٢٠٠٥م: ١١٦) ، ويقوم باتصال اللّاحق بالسّابق. جدير بالذكر أنّ الطباق في هذه الوحدة يحمل شحنة سلبيّة؛ حيث التقابل فيها يجري بين وجهين للموصوف الواحد (الدّنيا) على مستوى الإيجاب والسّلب. نلاحظ مثل هذا التقابل في الوحدة الرابعة:

- «قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكمْ ذِكرُ الْآجَالِ وَحَضَرَتْكمْ كوَاذِبُ الْآمَالِ»(الوحدة الرابعة).

والطّباق في الوحدة الرّابعة يجري بين الجملتين بُغية توبيخ المتلقّين بإثبات غياب ذكر الموت عنهم (قد غاب عن قلوبكم ذكرُ الآجال) وينفخ بذلك في الأذهان روحَ النشاط ويمهّد الطريق لمواجهة ما حضر في قلوبهم؛ لأنّ الغياب يستدعي ضدّه بالضّرورة أي الحضور (وحضرتكم كواذب الآمال). ومن الملاحظ أنّ التقريع يتمّ بسلب فعل إيجابي عن المتلقّين وإثبات فعل سلبي لهم خلال العطف ، كأنّ حضور الآمال الكواذب نتيجة لغياب ذكر الموت.

- «مَا بَالُكمْ تَفْرَحُونَ بِاليَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا تُدْرِكونَهُ ، وَلَا يَحْزُنُكمُ الْكثِيرُ مِنَ الآخِرَةِ تُحْرَمُونَهُ؟!» (الوحدة الرابعة).

لقد جاء المرسل في هذه الوحدة بمعنيين متوافقين ، ثمّ أجرى التقابل بين كلّ الأزواج على الترتيب. إنّ العنصر الجامع في هذه المقابلة هو المخاطبين-وإن لم يشر إليهم مباشرة ويكتفي بذكر الضمائر- الذين يلومهم الإمام -عليه السّلام -بسبب تعلّقهم بالدنيا فيصوّر نمط حياتهم خلال صورتين متقابلتين في نطاق الاستفهام التعجّبي يمكن رصدهما في الرّسم البياني التالي:

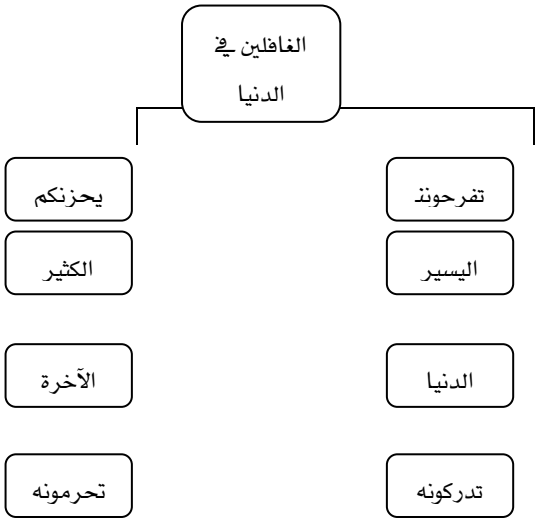

لقد أثبت المرسل في الغافلين _خلال هذه الصورة التقابلية- صفة الفرح التي يستدعي نقيضها(الحزن) ويجعل المتلقّي بعد إلقاء هذه الجملة في حالة الترقّب لكي يتابع الرّسالة المبعثرة ، ثمّ قام بتقابل الأزواج المتضادّة في سلسلة الكلام لإقناع المخاطب؛ وما يزيد في تأثير هذه الصّورة ، هو استعمال هذه الأزواج في نطاق الإستفهام التعجّبي لتوجيه المخاطب نحو التأمّل بخلق جوّ قياسي مُثيرٍ للانتباه. هكذا فإنّ الطباق في الوحدة النصّية الواحدة يقوم بربط الجمل بعضها ببعض وعقد العلاقات المتبادلة بينها بغية الانسجام والتأثير.

٢-٣. الطباق بين البُنيتين النصّيتين في نصّ واحد

يعتمد الإمام -عليه السّلام -على تقنية الطباق بين البُنيتين النصّيتين في النصّ الواحد ويتّسع بهذا الاعتماد مجال التماسك لخطابه وغالباً ما يفعل ذلك من أجل إبراز حالتين متناقضتين للمقارنة بينهما ولبلوغ الغايات الخطابيّة.

أمّا في النصّ المدروس فقد خصّص المرسل للحديث عن الزّاهدين وصفاتهم بنية نصّية كبرى وهي البنية الثالثة في النصّ وذكر حزنهم وبكاءهم في الدّنيا وإن نالوا من خيراتها ما نالوا؛ ثم أفاض في البنية الرابعة في تقريع المتلقّين بالإشارة إلى حرصهم على الدّنيا وتكالبهم عليها؛ فجعل من التضادّ ذريعةً للمقارنة بين هذين الصنفين. لقد وزّعت ملامح هذا التضادّ في البنيتين النصّيتين خلال نصّ الخطبة ككلّ منسجم وفق هذا الأسلوب:

- «إِنَّ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا تَبْكِي قُلُوبُهُمْ وَإِنْ ضَحِكوا ، وَيَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وَإِنْ فَرِحُوا ، وَيَكْثُرُ مَقْتُهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَإِنِ اغْتَبَطُوا بِمَا رُزِقُوا» (الوحدة الثالثة).
- «قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكمْ ذِكرُ الْآجَالِ وَحَضَرَتْكمْ كوَاذِبُ الْآمَالِ ، فَصَارَتِ الدُّنْيَا أَمْلَك بِكمْ مِنَ الآخِرَةِ» (الوحدة الرّابعة).
- «مَا بَالُكمْ تَفْرَحُونَ بِاليَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا تُدْرِكونَهُ ، وَلَا يَحْزُنُكمُ الْكثِيرُ مِنَ الآخِرَةِ تُحْرَمُونَهُ وَيُقْلِقُكمُ الْيَسِيرُ مِنَ الدُّنْيَا يَفُوتُكمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ ذَلِك فِي وُجُوهِكمْ» (الوحدة الرّابعة).
- «قَدْ تَصَافَيْتُمْ عَلَى رَفْضِ الْآجِلِ وَحُبِّ الْعَاجِلِ» (الوحدة الرّابعة).

إنّ تردّد الطّباق بين هذه الجمل المتعلّقة بالبنيتين المختلفتين يشكّل دائرة ترابطية لفظية ومعنوية تجعل النصّ كوحدة متكاملة لا تنفصم مقاطعها ، فتؤدّي إلى توليد المعنى وإنتاج الخطاب بدورها الحجاجي بجعل المخاطب أن يحاسب نفسه متأمّلاً في هذا القياس.

إضافةً إلى الطباق ، توجد في نصّ الخطبة ١١٢ علاقات أخرى بين المصاحبات المعجميّة التي تسهم في تماسك الوحدات؛ منها الارتباط بموضوع معيّن ، الاشتمال المشترك وعلاقة الجزء بالكلّ والجزء بالجزء.

٢-٣. الارتباط بموضوعٍ معيّن

وهو عبارة عن العلاقة بين الوحدات المعجمية المستخدمة في سياقات متشابهة ، التي أطلق عليها محمد خطابي- في كتابه لسانيات النصّ- عنوان التلازم الذكر وعالجها علماء البلاغة تحت عنوان مراعاة النظير. كما نعلم إنّ مراعاة النظير مجموعة من الأمور المتناسبة التي ترافق بعضُها بعضاً في سلسلة الكلام على وجه التلائم والائتلاف دون التضادّ؛ هكذا في دائرة السّياق الواحد توجد مفردات تجذب وتستدعي مصاحبها دون رابط دلالي؛ بل إنّما «يحكمها الإلف والعادة والمنطق ، والإطار العام الذي يحيط بها عند الجماعة

اللغوية» (الحلوة ، ٢٠١٢م: ٧٧)؛ إنّ هذا النوع من المصاحبة والتضامّ ، رغم إحكام سبك النصّ يؤدّي إلى توالده وتوسيع دلالاته.

كما أشرنا آنفاً إنّ الطباق كأهمّ عناصر التضام يقوم بتأدية الوظيفة الكبرى في تماسك وحدات الخطبة ١١٢ خاصّةً الوحدة الأولى؛ بينما نرى هناك نوعاً آخر من المصاحبة وهو علاقة مراعاة النظير التي تؤدّي دوراً ملحوظاً في تماسك هذه الخطبة ونقل معناها لاسيّما في الوحدة الأخيرة أي مقطع لوم الغافلين. إن نلقِ النظر إلى سياق هذه الوحدة ، نجد بوضوح أنّه يدور حول محورين: المحور الأول «وصف تعلق الغافلين بالدنيا» والمحور الثاني «تحذير المتلقي من هذا التعلّق خلال عتابهم» وهما متداخلان. من الواضح أنّ الإمام -عليه السّلام- في المحور الأول اعتمدعلى مجموعة من الألفاظ الدالّة على التعلّق بالدّنيا:

- « قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ الآجَالِ حَضَرَتْكُمْ كَوَاذِبُ الآمَالِ ، فَصَارَتِ الدُّنْيَا أَمْلَكَ بِكُمْ مِنَ الآخِرَةِ ، وَالْعَاجِلَةُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ الآجِلَةِ»(الوحدة الرابعة).
- « كَأَنَّهَا دَارُ مُقَامِكُمْ ، وَكَأَنَّ مَتَاعَهَا بَاق عَلَيْكُمْ»(الوحدة الرابعة).

من البديهي أنّ الاهتمام بـ"الدنيا"والتعلّق بما فيها من الزّينات و"الأمتعة" ، يتطلب الغفلة عن الآخرة وغياب ذكرها عن القلب. إنّ هذا التعلّق يقتضي انشغال الإنسان بـ"الآمال"التي تؤدّي إلى تملّك الدنيا على نفسه ويتجلّى مفهوم هذا التملّك خلال الوحدة الرابعة في نطاق صيغة "أملك" التفضيلية للتوكيد على عبوديّته للدّنيا وشدّة تعلّقه بها. إنّ الغافلين يعيشون في الدنيا كأنّها دار "مقامهم" الأبدي وهذا توهُّمٌ من يعنى بآماله اللّامتناهية وبالحياة "العاجلة" التي تمرّ مرّ السّحاب. كما لاحظنا كلّ هذه الألفاظ المستخدمة في هذا المقطع ، ترتبط بمضمون الدّنيا والتعلق بها. أمّا بالنّسبة إلى المحور الثاني أي تحذير الناس عن الدّنيا خلال عتاب الغافلين ، فإنّ السّياق يتطلّب الألفاظ المتأثّرة من عقائد المرسل ومنظومته الفكريّة المنتمية إلى الرؤية الإسلامية ليكون كلامه صدىً لكلام الله -تعالى- في القرآن الكريم:

- «فَصَارَتِ الدُّنْيَا أَمْلَكَ بِكُمْ مِنَ الآخِرَةِ ، وَالْعَاجِلَةُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ الآجِلَةِ»(الوحدة الرابعة).
- «وَإِنَّمَا أَنْتُم إِخْوَانٌ عَلَى دِينِاللّهِ»(الوحدة الرابعة).
- « وَصَارَ دِينُ أَحَدِكُمْ لُعْقَةً عَلَى لِسَانِهِ»(الوحدة الرابعة).

إنّ التحذير من الدّنيا في السنّة الإسلامية يتحقّق بذكر "الآخرة" أو "الآجلة" ، كما يتحقّق هذا المقصود في نصّ الخطبة خلال تكرار هذين العنصرين طوال الوحدة لإثبات هذا

المفهوم في ذهن المتلقي. كذلك يلائم استخدام مفردتي "دين" و"اللّه"مع هذا المقام ملائمة وثيقة حتّى يعدّ من المبادئ الفكرية الهامّة للإمام -عليه السّلام- التي غلبت على نصّ الخطبة.

٢-٥. الاشتمال المشترك

إنّ هذه العلاقة من باب التضامّ معروفة بعلاقة العموم والخصوص حيث «إنّ كلا العنصرين ينتميان إلى كلمة شاملة لهما فالكلمتان (الكرسي والمنضدة) كلمتان تشتمل عليهما كلمة أثاث» (شبل محمد ، ٢٠٠٩م: ١١٠) ، بعبارة أدقّ إنّ الاشتمال هو أن تكون في النصّ «كتلة من الكلمات ليس لها غطاء بل تكون شبكة العلاقات بينها مرتبطة بمعنى عام تندرج تحته معاني خاصّة» (الحلوة ، ٢٠١٢م: ٧٦)؛ فتؤدّي هذه العلاقة وظيفتها الربطية خلال استدعاء اللّفظ العامّ.

لم تخلو خطبة ١١٢ من ظاهرة الاشتمال المشترك حيث وردت في الوحدة الرابعة ألفاظ "فرح" و"حزن" و"قلق" تحت مسمّى واحد أو اشتمال عامّ و هو العواطف:

- «مَا بَالُكمْ تَفْرَحُونَ بِاليَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا تُدْرِكونَهُ ، وَلَا يَحْزُنُكمُ الْكثِيرُ مِنَ الآخِرَةِ تُحْرَمُونَهُ وَيُقْلِقُكمُ الْيَسِيرُ مِنَ الدُّنْيَا يَفُوتُكمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ ذَلِك فِي وُجُوهِكمْ» (الوحدة الرابعة).

إنّ عواطف الإنسان ناتجة عن عقائده ومرتبطة بأفكاره ارتباطاً مباشراً يؤثّر على اختيار أسلوب حياته؛ إنّها تربّي الإنسان وتلعب دوراً أساسياً في نيله الفضائل؛ فإنّ الإسلام بوصفه دين التعالي والتربية يعنى بهذا البُعد الفطري لتوجيه الإنسان نحو السّعادة. كذلك يؤكّد الإمام -عليه السّلام -على أهميّة العواطف خلال وصف كيفية ظهور مظاهرها (الفرح والحزن والقلق) في ضمير الغافلين عن الآخرة. نلاحظ هذا الاشتمال في مقامٍ مقابلٍ لهذا السّياق وهو مقام وصف عواطف الزاهدين الذين لا يغفلون عن ذكر الموت:

- «يَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وَإِنْ فَرِحُوا» (الوحدة الثالثة)

كما يبدو ، لقد خلق المرسل جوّاً قياسياً قائماً على التضادّ بين هذا الاشتمال والاشتمال المستخدم في الوحدة الأخيرة للتوكيد على الأسلوب الأصحّ للحياة؛ لأنّ عواطف الزاهدين متأثّرة بخطواتهم في مسار أهدافهم العالية. من المظاهر الأخرى للاشتمال المشترك في الخطبة ، يمكن الإشارة إلى أوصاف الغافلين وسلوكهم في علاقاتهم مع إخوانهم:

- « فَلاَ تَوَازَرُونَ ، وَلاَ تَنَاصَحُونَ ، وَلاَ تَبَاذَلُونَ ، وَلاَ تَوَادُّونَ» (الوحدة الرابعة)

فقد جمع الإمام عليه السّلام الألفاظ الدالّة على "حسن المعاملة" في الوحدة الأخيرة كالإعانة والنّصح والبذل والمودّة بغية التوكيد على أهميّتها وإحكام الاتّساق المعجمي بين أجزاء الكلام؛ وقد سلبها من الغافلين ، باقتران كلّ منها بلا النافية وأكّدعلى هذا السّلب بتكرارها مع الأفعال؛ لأنّ الغافلين عن ذكر الآخرة ، لا يهتمّون بعلائقهم مع إخوانهم لشدّة التعلّق بالدنيا. فمن الملاحظ أنّ هذا الاجتماع بين الألفاظ المستخدمة تحت مسمى واحد ممّا يقوّي الترابط المعجمي.

٢-٦. علاقة الجزء بالكلّ/ الجزء بالجزء

إنّ علاقة الجزء بكلّه ، وهو الذي يطلق عليه اسم علاقة التّضمين ، يشتمل على «معنى جزئي محدّد يندرج تحت معنى عامّ ، ويطلق عليه أيضاً الانضواء أو علاقة الجزء بالكل؛ إلّا أنّ مصطلح التضمين أكثر شيوعاً داخل الحقل» (الحلوة ، 2012م: ٧٥). إنّ هذه العلاقة تجعل الوحدات المعجمية تتداعي فإذا ورد في النصّ الجزء من كلّه ، يقوم باستدعاء الكلّ فتحقّق بهذا الأمر الاستمرارية في النصّ ؛ كما تسبّب هذه العلاقة توالد النصّ وإنجازه. إنّ علاقة الجزء بكلّه تتضمّن في طيّاتها التأكيد والتداعي بوصفهما عنصرين ضروريين لإنتاج استراتيجية الإقناع. إنّ هذه العلاقة مشهودة بوضوح في الوحدة الأولى من الخطبة ١١٢ حيث يصف الإمام -عليه السّلام- طابع الدّنيا:

- «وَأُحَذّرُكُمُ الدُّنْيَا ، فَإِنَّهَا مَنْزِلُ قُلْعَة ، وَلَيْسَتْ بِدَارِ نُجْعَة ،...؛ دَارُهَا هَانَتْ عَلَى رَبِّهَا ، فَخَلَطَ حَلاَلَهَا بِحَرَامِهَا ، وَخَيْرَهَا بِشَرِّهَا ، وَحَيَاتَهَا بِمَوتِهَا ، وَحُلْوَهَا بِمُرِّهَا ، لَمْ يُصْفِهَا اللّهُ لأَوْلِيَائِه ، وَلَمْ يَضِنَّ بِهَا عَلَى أَعْدَائِه ، خَيْرُهَا زَهِيدٌ ، وَشَرُّهَا عَتِيدٌ ، وَجَمْعُهَا يَنْفَدُ ، وَمُلْكُهَا يُسْلَبُ ، وَعَامِرُهَا يَخْرَبُ. فَمَا خَيْرُ دَار تُنْقَضُ نَقْضَ الْبِنَاءِ»(الوحدة الأولى).

تتجلّى علاقة الجزء بالكلّ في هذه الوحدة خلال اختيار مجموعة من الألفاظ المكوّنة طابع "الدنيا" بوصفها اللفظة الكلّية أو الكلمة المفتاحية في هذه الخطبة؛ فبحضور هذه الأجزاء يتبادر الكلّ إلى ذهن المتلقّي. تمكن ملاحظة تجسيد هذه العلاقة وتوضيحها خلال الرّسم البياني التالي:

من الملاحظ أنّه هناك ترابط واضح في المستوى الداخلي للوحدة الأولى ، يتمّ في نطاق شبكة من العلاقات بين هذه المصاحبات التي تشكّل نظاماً كلّياً وتؤدّي إلى تماسكها حسب السياق. يبدو واضحاً أنّ الترابط القائم بين هذه المفردات المعجمية يتحقّق خلال علاقتين: العلاقة الأولى هي علاقة الأجزاء بكلّها التي تتجلّى في ترابط مفردة الدنيا -التي جاءت في مستهلّ المقطع- بمفردات الحلال والحرام والحياة والموت ... ،التي تعدّ أجزاءاً من ماهيّة الدنيا؛ والعلاقة الثانية هي علاقة الأجزاء بالأجزاء التي تتحقّق ضمن علاقتها بالكلّ. فإنّ مفردة الحلال والحرام والحياة و... ،ترتبط بعضها ببعض باعتبارها هي من أجزاء الدنيا؛ رغم أنّ 72٪ من صعيد هذا الترابط بين الأجزاء يختصّ بظاهرة الطّباق التي عالجناها آنفاً. هكذا يتمّ التماسك المعجمي خلال سلسلة مترابطة من العلاقات بين المصاحبات في المقام النصّي الواحد.

النتائج

حصلنا خلال التّطواف اللّساني الذي قمنا به في "الخطبة ١١٢" من نهج البلاغة من منظار التماسك النصّي ، على عدّة نتائج؛ منها:

١- لقد بنيت الخطبة ١١٢ من نهج البلاغة على شبكة من العناصر المعجمية المترابطة التي تجعلها كنسيج منسجم متكامل ومحكم السّبك. إنّ" التحذير من الدّنيا وذمّها" كالدلالة الكبرى للنصّ يلقي ظلاله على وحداته الأربعة بالاتّجاهات الخطابية المتنوّعة. تُعدّ كلّ وحدة بمثابة تعليلٍ للسّابق منها وامتدادٍ لها؛ كأنّ آليّات الاتساق المعجمي تشكل سُلّماً دلالياً لتنمية النصّ تجاه الغاية المنشودة.

٢- يؤدّي التكرار وظيفته في تماسك الخطبة بدرجاتها الأربعة خلال التبئير والتداعي. إنّ الإمام علي -عليه السّلام- ينشر غايته الدّلالية طوال النصّ محافظاً عليها بجعل مفردات"الدّنيا" ، و"الدار" ، و"اللّه" ، و"موت" و"قلوب" بؤرات تتداعى الدلالة الكبرى للنصّ وهي التحذير من الدنيا. والتكرار الجزئي المتجلّي في ظاهرة الجناس يسهم في الاتساق

المعجمي خلال استدعاء العناصر المعجمية في مجالين: قريب وبعيد. إنّ كثرة استخدام التكرار الجزئي المتجاور في النصّ خاصّة في الوحدة الأولى ، تؤدّي إلى تأكيد صفات الدنيا وإثباتها للمتلقّي؛ كما أنّ التكرار المتباعد رغم ندرة استخدامه يعمل على الربط خلال تبئير الوحدات. كذلك تقنية الترادف تحكم سبك الخطبة بتبئير الوحدات النصّية الثلاثة -خلال تكرار مفهوم الدار والمنزل والعاجلة وإحالته إلى الدنيا- بغية توجيه الخطاب نحو الدلالة الكبرى ، كما تعمل على الربط بين أجزاء المقام النصّي الواحد لغرض التوكيد. وأخيراً تكرار التوازي الذي يعدّ من وسائل الإقناع اللّفظي الذي يلائم مقام الوصف في الوحدة الأولى ومقام العتاب في الوحدة الرابعة؛ ويعمل على ربط أجزاء الوحدات النصّية الصغيرة بتأثيره الإيقاعي والتوكيدي.

٣- يتجلّى التضامّ كأحد آليّات التماسك النصّي في إطار الطباق بشكل وسيع في هذه الخطبة حيث نستطيع القول بأنّ الطباق هو الخاصيّة الأسلوبية الغالبة على هذا النصّ؛ لأنّ الموضوع المحوري للنصّ ، وصف الدّنيا بطبيعته مبنيٌ على المتناقضات. لا يجري الطباق في هذا الخطاب بين المفردات في جملةٍ واحدةٍ فحسب؛ بل إنّه يشدّ وحدات النصّ ويجسّدها كالوحدة المتكاملة المنسجمة ملائماً فحوى الكلام. يتمّ هذا الترابط المعجمي بجعل المتلقّي في حالة الترقّب والتوقّع لتلقّي بقيّة الخطاب. كذلك يتجلّى التضامّ في نطاق علاقات معجمية أخرى بين العناصر المصاحبة كعلاقة الاشتمال والارتباط بموضوع معيّن وعلاقة الكلّ بالجزء والجزء بالجزء ، وكلّ هذه العلاقات تحقّق تماسك الوحدات النصّية الواحدة من خلال الاستدعاء والتذكير.

٤- لقد اتخذ الإمام -عليه السّلام- ،بصفته مرسل الخطاب ، من التكرار والتضامّ خيرَ وسيلةٍ لإنتاج الخطاب واستخدم مظاهرهما في مسار تحقيق الاستراتيجيات الخطابية الإقناعية والتوجيهية حسب الطبيعة الأخلاقية للخطبة. إنّ التكرار بأنواعه يعدّ عنصراً حجاجياً يوظّف للإقناع بالتداعي والتأكيد؛ كذلك يوظّف التضامّ بخلق جوٍّ قياسي يثير انتباه المتلقي ويحضّه على التفكير.

المصادر و المراجع:

نهج البلاغة.

ابن أبي الحديد ، عبد الحميد. (١٩٦٠م). *شرح نهج البلاغة*. بيروت: دار إحياء الكتب العربية.

ابن فارس ، أحمد بن فارس. (١٩٩٣م). *الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها*. تحقيق: عمر فاروق الطباع. بيروت: مكتبة المعارف.

ابن ميثم البحراني ، كمال الدين ميثم بن علي. (١٤٣٠هـ.ق). *شرح نهج البلاغة*. (ط٢). قم: دار الحبيب.

بحيري ، سعيد حسن. (١٩٩٧م). *علم اللغة النص المفاهيم والاتجاهات*. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.

برويني ، خليل؛ نظري ، علي‌رضا. (ربيع ١٣٩٣ش). *بررسی نقش عامل تکرار در انسجام بخشي به خطبه‌های نهج البلاغه بر اساس الگوی انسجام هليدي وحسن". مجلة زبان بزوهي دانشگاه الزهرا*.. السنة ٦. العدد ١٠. صص ٣٧-٦١.

حميدي الحميداوي ، خالد كاظم. (٢٠١١م). *أساليب البديع في نهج البلاغة دراسة في الوظائف الدلالية والجمالية*. جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه. إشراف: د.مشروف كاظم العوادي. جامعة الكوفة.

خضير ، باسم خيري. (٢٠١٧م). *استراتيجيات الخطاب عند الإمام علي (عليه السلام) مقاربة تداولية*. كربلاء: مؤسسة علوم نهج البلاغة.

الخطابي ، محمد. (١٩٩١م). *لسانيات النص؛ مدخل إلي انسجام الخطاب*. بيروت: المركز الثقافي العربي.

دي بوجراند ، روبرت. (١٩٨٨م). *النص والخطاب والإجراء*. ترجمة: تمام حسان. القاهرة: عالم الكتب.

الزناد ، الأزهر. (١٩٩٢م). *دروس في البلاغة العربية*. بيروت: المركز الثقافي العربي.

ـــــــــ. (١٩٩٣م). *نسيج النص ، بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً*. بيروت: المركز الثقافي العربي.

شبل محمد ، عزة. (٢٠٠٩م). *علم لغة النصّ ، النظرية والتطبيق*. القاهرة: مكتبة الآداب.

الشهري ، الهادي بن ظافر. (٢٠٠٤م). *استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية*. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.

عكاشة ، محمود. (٢٠١٠م). *الربط في اللفظ والمعني*. القاهرة: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي.

عيد ، رجا. (لاتا). *فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور*. الاسكندرية: دار المعارف.

الفقي ، صبحي إبراهيم. (٢٠٠٠م). *علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق (دراسة تطبيقية علي سور مكية)*. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر.

مداس ، أحمد. (٢٠٠٩م). *لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري*. إربد: عالم الكتب الحديث.

مفتاح ، محمد. (١٩٩٦م). *التشابه والاختلاف نحو منهاجية شمولية*. المغرب: المركز الثقافي العربي.

مونسي ، حبيب. (٢٠٠٥م). *الواحد المتعدد النص الأدبي بين الترجمة والتعريب*. وهران: دار الغرب للنشر والتوزيع.

الوداعي ، عيسى جواد محمد فضل. (٢٠٠٥م). *التماسك النصّي(دراسة تطبيقية في نهج البلاغة)* ، قدّمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلّبات الحصول على درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها ، كليّة الدّراسات العليا الجامعة الأردنية.

الهاشمي الخوئي ، حبيب الله. (لاتا). *منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة*. تصحيح: السيد إبراهيم الميانجي. (ط4). طهران: المكتبة الإسلامية .

هاليدي ، مايكل؛ حسن ، رقية. (١٩٧٦م). *السّبك النصّي في اللّغة الإنجليزية*. لندن: مجموعة لونجمان. بالإنجليزي.

عفيفي ، أحمد. (٢٠٠١م). *نحو النصّ ، اتجاه جديد في الدرس النحوي*. القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.

Sources

Nahj al-balaghah.

Afify, A. (2001). Towards the text, a new trend in Arabic grammar lesson. Cairo: Zahraa Al-Sharq Library.

Beheiri, S.H. (1997). Linguistics, text, concepts and trends. Beirut: Lebanon Library Publishers.

De Boegrand, R. (1988). Text, discourse and procedure. Translation: Tammam Hassan. Cairo: The World of Books.

Eid, R. (n.d). Rhetoric philosophy between technology and development. Alexandria: House of Knowledge.

Al-Fiqi, S.I. (2000). Textual linguistics between theory and practice (An applied study on Meccan Surahs). Cairo: Quba Publishing House.

Halliday,M.A.K. Hasan, R. (1976).Cohesion in English. London: Longman Group Limited.

Hamidi Al-Hamidawi, K. (2011). Badi methods in Nahj al-Balagha: A study of semantic and aesthetic functions. Part of the requirements for a doctoral degree. Supervised by: Dr. Mashrouf Kazem Al-Awady. University of Kufa.

Al-Hashemi Al-Khoei, H. (n.d). Curriculum approach to explaining Nahj al-Balaghah. Correction: Mr. Ibrahim Al Mianji. (I 4). Tehran: Islamic Library.
Ibn Abi Al-Hadid, A.H. (1960). Explanation of Nahj al-Balaghah. Beirut: House of Revival of Arab Books.
Ibn Faris, A.F. (1993). Al-Sahbi on the jurisprudence of the Arabic language and its issues. Investigation by: Omar Farouk Al-Tabaa. Beirut: Knowledge Library.
Ibn Maytham al-Bahrani, K.M. (1430 AH). Explanation of Nahj al-Balaghah. (I 2). Qom: Dar Habib.
Al-Khattabi, M. (1991). Text linguistics; An entrance to the harmony of discourse. Beirut: Arab Cultural Center.
Khudair, B.K. (2017). Discourse strategies of Imam Ali (peace be upon him) are a deliberative approach. Karbala: Nahj Al-Balaghah Sciences Institute.
Madas, A. (2009). Text linguistics towards an approach to poetic discourse analysis. Irbid: The Modern World of Books.
Miftah, M. (1996). Similarities and differences towards a holistic methodology. Morocco: Arab Cultural Center.
Mounecy, H. (2005). The one multi-literary text between translation and Arabization. Oran: Western House for Publishing and Distribution.
Okasha, M. (2010). Linking the word and the meaning. Cairo: The Modern Academy for University Writers.
Shebel Muhammad, A. (2009). Text-language science, theory and practice. Cairo: Literature Library.
Al-Shehri, H.D. (2004). Strategies of discourse: Lingual pragmatic approach. Beirout: dar al-kitab al-jadid.
Al-Wadaei, I.J.M. (2005). Textual Cohesion (An Applied Study in Nahj Al-Balaghah), this thesis was presented to complete the requirements for obtaining a PhD in Arabic Language and Literature, University of Jordan College of Graduate Studies.
Al-Zinad, A. (1992). Lessons in Arabic rhetoric. Beirut: Arab Cultural Center.
_____. (1993). Text Texture, search for what is spoken in text. Beirut: Arab Cultural Center.